

# دراسات في الإسلام

يصدرها

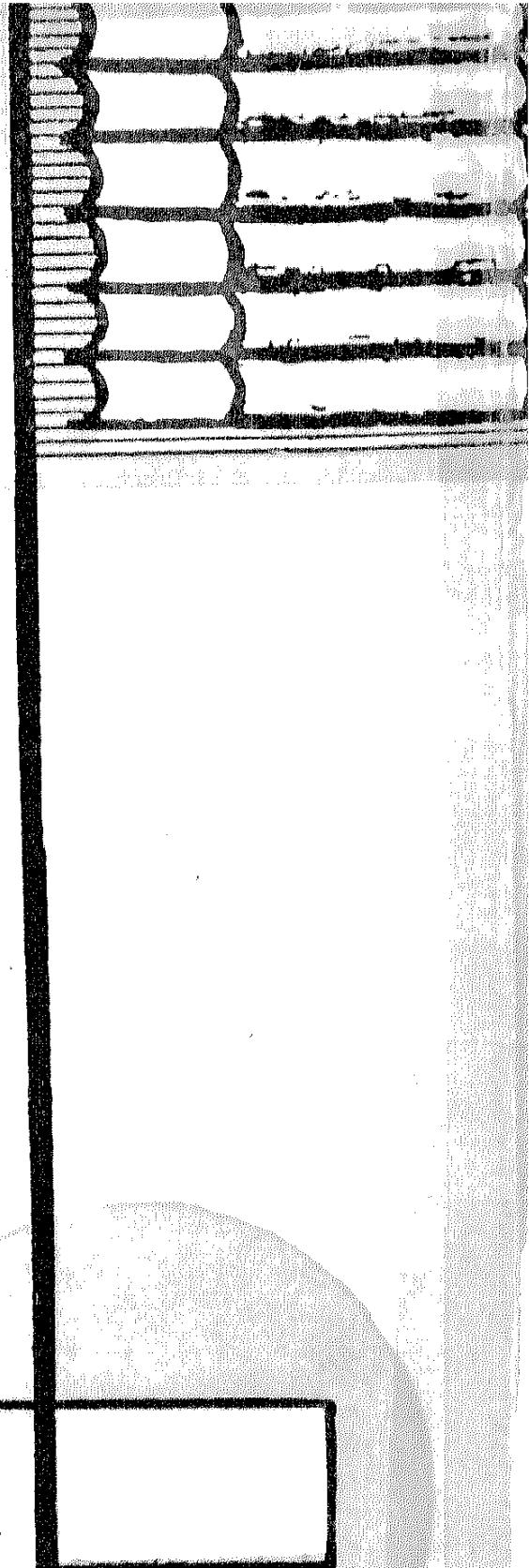
الجامعة الأمريكية للشئون الإسلامية  
المتاحة

## أكاديميات

يفتتح

الأستاذ فؤاد شاكر

العدد التسعون



## اهداءات ٢٠٠٢

أ/ محمد مصطفى بوسوس  
القاهرة

دراسات في الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

العاصمة

# أدب القرآن

يفتلم  
الأستاذ فؤاد شاكر

يشُرِّفُ على إصدارِهَا

محمد توفيق عزيزية







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ »

جَنْدُقُ اللَّهِ الْعَظِيمِ



## تَهْبِيَّد

أسباب تأليف هذا الكتاب - اتساع مذاهب البحث -  
أدب العلم وأدب النفس - الأحكام التشريعية في القرآن -  
اغفال المسلمين لمصدر سعادتهم - القرآن مصدر سعادة البشر  
- تعريف السعادة والطريق الموصى إليها - آداب المسلمين  
في حياتهم اليومية من القرآن - معاملاتهم الحقوقية .

ظن بعض أصدقائي ، الذين سمعوا بعنوان هذا الكتاب ،  
قبل قراءة موضوعه - أدب القرآن - أتنى عنيت ببحث أدب  
العلم ، لا أدب النفس ، إذ من المفهوم أن كلمة الأدب تؤدي  
هذين المعينين ، كالتعبير الذي اصطلح عليه ، فادب العلم ، الذي  
هو علم الأدب ، غير أدب النفس ، الذي هو حلية النفس وطابعها  
في مكارم الأخلاق ، وظنوا أتنى عنيت ببحث أدب القرآن من  
ناحية العلوم الأدبية وفنونها فتعرضت لما في القرآن من بلاغة  
وفصاحة ، ولغة ونحو ، وصرف وقواعد وما إلى ذلك من ضروب  
البيان وأبوابه الواسعة ، فلما سئلت في ذلك أجبت : بأن أدب

القرآن من هذه الناحية ، إنما هو موضوع يهم الخاصة من رجال العلم والفضل ، والمتعلقين بالبحث والتمحيص ، للوقوف على ما في القرآن الكريم من بلاغة وفصاحة وبيان ، وما ورد فيه من غريب اللغة ومفرداتها وقواعدها ، فهو يهم من هذه الناحية طائفة خاصة من طبقات الناس بل من صفة طبقاتهم المتعلمة التي تفهم معنى هذه الابحاث حق فهمها ، فالباحث اذا في الموضوع من هذه الناحية المحدودة هو في نظرى بحث محدود الفائدية بحدود قرائه وقلتهم في كل أمة من الأمم العربية والاسلامية لأنه من المفهوم أنه ليس كل الناس وليس سواد الشعوب وجمهرة الأمم من التعليم العالى بالدرجة التي تخول لهم فهم هذه الابحاث حق فهمها .

وبالتالى ، فإن فصاحة القرآن الكريم وببلغته ، وما فيه من ضروب البيان ، كل ذلك شيء تناقلته الاسننة وحفظت به المؤلفات وحفيت فيه أقلام الكتاب من فطاحل العلماء ، منذ العصر الذى نزل فيه القرآن الى اليوم ، في كل أمة وكل زمان . فالكتابة فيه ليست بجديدة في موضوعها ، و موضوعها ليس بمحجوب من أولئك الجبلة من العلماء المبرزين ، والقطاحل المؤلفين ، الذين عالجوا هذه الابحاث في مؤلفات ضخمة حفلت بها المكاتب العربية وعرفت لجميع المتأدين وتداولتها أيديهم وأبصارهم وأذهانهم .

وقد خلصت من هذا الى تقرير : أن الناحية العلمية في القرآن ، إنما هي ناحية لا يفهمها — حق فهمها — الا تلك الطائفة الجليلة من العلماء . من الذين يؤهلهم تعليمهم ومؤهلاتهم العلمية والذهبية الى استساغة معانيها وقواعدها .

أما الناحية الأخرى التي قصدت اليها من تأليف هذا الكتاب، فهي الناحية الأوسع انتشاراً ، والتي يستطيع كل فرد متعلم تعليماً عادياً أن يفهمها ، والتي هي تهم كل فرد من أبناء البشر ، لأنها الناحية المتعلقة بالانسان في حياته اليومية ، فيما بينه وبين ربه ، وفيما بينه وبين والديه اللذين هما أقرب الناس إليه ، وفيما بينه وبين ذوى قرباه وذوى رحمه ، وفيما بينه وبين الناس بصفة عامة ، وما يدخل في ذلك من حقوق ومعاملات ، وآداب خاصة وعامة ، وشئون اجتماعية وأخلاقية ، وعمراًنية واقتصادية وآداب الإنسان في معاشرة أهله ومعاشرة غيرهم من الناس من تضطرب ظروف الحياة وملابساتها الى الاحتكاك بهم في غدواته وروحاته .

بل لم يقتصر القرآن الكريم على ذلك ، فتعرض لأدق شئون الإنسان في حياته الخاصة ، كآداب الاستئذان في الأسرة ، وآداب الاستئذان في دخول البيوت ، وآداب التفسح في المجالس ، وما الى ذلك من الشئون الخاصة المتعلقة بأخلاق الناس وآدابهم ، مما يجده القارئ مفصلاً في كتابنا هذا .

والقرآن الكريم أوسع من أن يحده بيان أو مؤلف أو مؤلف .  
مهما أتسعت الصفحات وسمت المدارك وتبهت العقول . وقد حفل  
بجميع شئون الخلق في عبادتهم ، وفي معاملاتهم وفي جميع  
أحوالهم الخاصة وال العامة كما أسلفت القول ، وبذا لى أن في  
القرآن من هذه المواضيع جميعا ما لو حاولت تفصيله أو  
التعرض له بالاشارة لاستوعب مني مجلدات ضخمة وزمنا  
لا يحيط به العمر المحدود . علامة على أن ذلك التفصيل بجملته  
يكون موضوعا عاما يخرج بي عن نطاق الفكرة التي حددتها في  
تأليف هذا الكتاب ، أو على الأصح ، الفكرة التي بعشتني على  
تأليف بهذه الصورة .

فالآمة الإسلامية الصحيحة ، إنما قامت في حياتها العامة  
والخاصة ، على أساس القرآن الذي هو هاديها المرشد إلى كل  
 شأن جليل أو ضئيل من شئون حياتها . وقد كان الأمر كذلك  
في فجر الإسلام وضحاياه ، وتقول — في فجر الإسلام وضحاياه  
لأن كثيرا من الأمم الإسلامية تحلت بعض التحلل من بعض  
تعاليم القرآن والإسلام ومبادئها وأخذوا يعملون ويسيرون على  
قواعد عرفية وعقلية زعموا أنها ملائمة لعصورهم الحاضرة وما  
اقتضته من تطور ، وهم في ذلك جدواهين ، ففي فجر الإسلام  
وضحاياه ، أي في زمن الرسالة المحمدية وعهد الخلفاء الراشدين  
والصحابية ، كان القرآن هو القاموس الوحيد لمعاجم هذه  
الحياة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو مرجعهم فيه مدة

حياته . ثم كانت أحاديثه الصحيحة الثابتة ، مرجعهم بعد وفاته في أنظمة حياتهم ومعاملاتهم وشئونهم من عامة وخاصة .

فال فكرة التي رمى إليها مؤلف هذا الكتاب ، هي أنه نظر إلى القرآن الكريم نظرة اجلال وأكبار واحترام ، بعد أن اشربت نفسه حب القرآن وبعد أن وفقه الله إلى دراسته دراسة عميقة ، والوقوف على كثير من معانيه السامية الحكيمية . وقد رأى المؤلف أن في القرآن الكريم من شتى المواضيع ما أصبح دستورا عاما لل الأمم الإسلامية وأصبح نظاما حكوميا دينا ودنيا يجب أن تسير بسوجبه الأمم الإسلامية وتطبّقه الحكومات التي لها الولاية على المسلمين ، كأحكام القصاص واقامة حدود الله وتوزيع العدل بين الناس بواسطة الهيئات الحاكمة وشؤون التوريث وأمور النكاح وما إلى ذلك من الأمور التي يرجع أمر تنفيذها إلى السلطات الحاكمة . فلم يتعرض المؤلف لهذه الناحية من نواحي القرآن على اعتبار أنها ناحية يرجع أمر تنفيذها عمليا إلى الهيئات الحاكمة كما قلنا وهي مسائل شرعية لم يعد أمرها حافيا على أحد من الناس لأنها من قواعد دينهم الذي يسيرون عليه ، سواء عملوا بها أو لم يعملا .

ورأى المؤلف في القرآن ناحية أخرى هي ناحية الفرائض والعبادات والأمور المتعلقة بطاعة العبد لربه كالصلوة والزكاة بالصوم والحج ، وهذه الناحية لم يتعرض لها المؤلف لأن ما كتب في موضوعها قد ينافي وحديثا لم يترك مجالا لكاتب أو لقائل ،

ولأن كل مسلم أصبح بفطرته أو ببساط ما يتلقنه من القواعد أو المعلومات ، ملما بارك أن دينه عارفا لها سواء عمل بها أو لم يعمل .

وانما الرأى الذى أخذ على المؤلف مذاهب تفكيره ، هو انه استشف من أسرار القرآن ، الناحية التى يقرأها الناس ولا يلقون بالهم اليها ، وهى الناحية التى يمكن الاستفاده منها استفاده عملية فى كل شئون الناس فى حياتهم اليومية ، وأعنى بها الناحية التى تتعلق بحياة الناس فى أعمالهم وعلاقاتهم ببعضهم وآدابهم العامة والخاصة ، ومكارم الأخلاق ومعاملاتهم الأدبية والمادية وما يتعلق بالمحافظة على صحتهم وعلى ثروتهم وعلى سعادة الأسرة وعلاقات الآباء بالأبناء وعلاقاتهم بذوى قرباهم وتبادل العطف والمحبة والمواساة بين بعضهم البعض ورفع مستوى الأخلاق وترقية حالتهم الاجتماعية والخلقية وكل ما يؤدي الى سعادتهم وهنائهم ورفاهيتهم .

هذه الناحية الاجتماعية الأخلاقية العمرانية ، التى هى أساس الحياة اليومية لكل الناس ، هى الناحية التى ملكت مذاهب الرأى على المؤلف ، بعد أن استشف من قواعدها المرسومة فى القرآن ما ينهض بها الى أرفع أوج يشهد بعظمته الدين الاسلامى وينطق بعظمته القرآن وبأنه كتاب منزل من لدن الحكيم الخير ، الذى هو عالم بسر خلقه ، وبسر طريق السعادة التى هم عنها فى ضلال مبين ، وقد استهوت المؤلف هذه الفكرة ، فعمل جاهدا على اخراجها الى حيز الوجود ، وذلك باقتقاء الآيات الحكيمية

التي حفل بها القرآن في هذه المعانى ، وتقديمها الى القراء فى ثوب من البساطة يسهل معه فهمها ، وفهم الاغراض التى رمت اليه من اسعد البشر ، فهو سبحانه وتعالى فى غنى عن عباده وعن عبادتهم والذبائح التى تذبح تقربا اليه لن يناله دمائها ولا لحومها وإنما هى مبادىء سامية ترمى الى تحرير أشرف الأغراض وأنبيل الغايات .

وقد اتسعت مذاهب البحث وتشعبت مسالكه على مؤلف هذا الكتاب عندما حاول اخراج فكرته من حيز التفكير الى حيز التنفيذ لأن النظريات تختلف عن العمليات ، اذ اجتمعت لديه طائفة من آى الذكر الحكيم في هذه المواضيع وفي المواضيع المتصلة بها ما لو أراد مجازاة رغبته الملحقة في تتبعها وتقسيمها ، ثم تتبع شروعها وتقسيمها ، لنجد العمر دون الوصول الى غايته ، لغزاره البحث وسعته ، وعمقه ، وهنا لم يجد بدا من الاقتصار على ما وصل اليه جهده المحدود الضئيل مقتنعا بالمساهمة في الدعوة الى الله بما أداه من واجب في دائرة الحد الذي وفق اليه ، مواصلا البحث في الموضوع الذي هو بسبيله على ما تبع له الحياة من مدى ، سائلًا الله أن يلهمه التوفيق فيما هو فيه من مواصلة الجهد لاكمال تحقيق الفكرة التي يعمل لاتمامها في كتاب آخر يتصل بموضوع هذا الكتاب .

وغاية ما أرجوه اذا ، هو أن أكون قد ساهمت في الدعوة الى الله ، وانارة الطريق الى الحق ، وقيادة الناس الى سبيل سعادتهم

الدنيوية والدينية ، لاتى شديد الاعتقاد ، بأن الناس لو اتبوا  
أوامر دينهم وأحكام قرآنهم ، وما جاءهم فيه من الحق ، لساروا  
على النهج المؤدى بهم الى السعادة الكاملة التى ينشدونها وهى  
بين أيديهم ، فقد طالما كتب كتاب الشرق والغرب ، وبحثوا طويلا  
، وضعوا أثمن الجوائز وأغلاها لمن يدلهم على السعادة ولم يعرفهم  
ما هي وأين طريقها . وقد كتبوا فى ذلك كثيراً وطويلاً . وأكثر  
من خاض هذا الموضوع لم يوفق الى تعريف السعادة أو ما هو  
الطريق الموصى اليها .

أما تعريف السعادة فى رأى كاتب هذه السطور ، فهو أنها  
هى الحياة الطيبة المشمولة بهدوء البال فلا يكدر صفوها من  
الحوادث الإنسانية مكدر ، كأن تكون متمتعا بالصحة الجيدة  
والمعيشة الهادئة آمنا من الخصومات بينك وبين غيرك من الناس  
على صلة طيبة بجميع من تحب ، حائزًا لرضا ربك وذويك فى  
سطة من العيش . وهذه الامور لا يمكنك أن تتتوفر على اقتنائها  
لا من طريق الدين ، وطريق الدين الذى نعنيه هو اطاعة أوامر  
ربك واتخاذ القرآن الكريم اماما لك ونبراسا تقتدى به وتهتدى  
بهداه ، فى كل ناحية من نواحي حياتك سواء العامة والخاصة  
وسواء الدينية منها أو الدنيوية ، فإذا انت فعلت ذلك بحق  
والخلاص ، واتبع ما جاء فى القرآن بهذا الصدد ، يمكنك أز  
تحصل الى طريق السعادة المنشودة وغيرك يتخطى في طريقه .  
يلتسبس اليه التور فلا يعرف مصدره العظيم ، فكتاب أدب القرآن

اذا ، هو النبراس المضيء أمامك هذا الطريق ، بله نفسه الطريق المؤدي بك إلى السعادة الحقيقية في دنياك وآخرتك ، ولعلى حين أصف كتابي بهذا التعبير أكون قد مدحته في نظر من يقرأون هذه الجملة : وليس من المتعارف أو المتواضع عليه أذ بمتدرج مؤلف تاج فكره ، ولكننى في الواقع أمتدرج كتابي . بملء ماضغى فخرا وبكل ما في من قوة ، وأدعوا الله أن يشينى عليه كل المشوبة ، وأن يهلى به خلقاً كثيراً . وذلك لسو موضوعه وسمو فكرته ، وأنه مستمد من كلام الله سبحانه وتعالى ومن تعاليم دينه الحنيف ، وأوامر قرآنـه الكريم ، وحسبـه انه « أدب القرآن » وكفى .

والله الموفق .



# الباب الأول في الشؤون الأخلاقية

- ١ - النهي عن الظن السوء والغيبة
- ٢ - الأمر بالحسنى
- ٣ - تحريم السخرية والاستهزاء
- ٤ - النهي عن الغضب وما يجر إليه
- ٥ - مكارم الأخلاق
- ٦ - النهي عن شح النفس



## النهي عن الظن السوء والغيبة

قال الله تعالى في محكم تنزيله :

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض الظن  
أثم ولا تجسسوه ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أحب أحدكم أن  
يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه . واتقوا الله إن الله تواب  
رحيم » .

جاء في تفسير هذه الآية ما يأتي :

يقول الله ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة  
والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله ، لأن بعض ذلك  
بكرون أثما محضاً ، فليتجنب كثير منه احتياطه وروى عن أمير  
المؤمنين عمر بن الخطاب انه قال « ولا تظنن بكلمة خرجت من  
أخيك المؤمن الا خيراً وانت تجد لها في الخير محملاً » . وقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسناد عن مالك عن أبي الزناد  
عن الأعرج عن أبي هريرة « ايهاكم والظن فان الظن أكذب  
الحديث و لا تجسسوه ولا تحسسوه ولا تتفاسوا ولا تحاسدوا  
ولا تبغضوا ولا تدبروا وكونوا عباد الله اخوانا » . وقال الطبراني  
باستناده عن حارثة بن النعمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم « ثلاثة لازمات لامتي : الطيرة والحسد وسوء الظن » .

فقال رجل وما يذهبن يارسول الله من هن فيه ، قال سلى الله عليه وسلم « اذا حسدت فاستغفر و اذا ظننت فلا تتحقق و اذا تطيرت فامض » ، وقال سفيان الثورى عن راشد بن سعد عن معاوية قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم او كدت أن تفسدتهم » ( ولا تجسسوا ) أى على بعضكم بعضا والتتجسس غالبا يطلق فى الشر ومنه التجسس أما التحسس فيكون غالبا فى الخير كما قال عز وجل اخبارا عن يعقوب انه قال ( يابنى اذهبوا فتجسسوا من يوسف وأخيه ) وقد يستعمل كل منهما فى الشر كما ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ولا تجسسوا ولا تحسسوا .. الخ » والتتجسس البحث عن الشيء والتحسس الاستماع الى حديث القوم وهم له كارهون

وقوله تعالى « ولا يغتب بعضكم بعضا » فيه ذكر عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود، قيل يارسول الله ما الغيبة ، قال ( ذكرك أخاك بما يكره ) قال أفرأيت ان كان فى أخي ما أقول قال سلى الله عليه وسلم ( ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ) وجاء فى الاثر أن امرأة دخلت على عائشة فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضى الله عنها للنبي بيدها - أى أنها قصيرة - فقال النبي ( اغتبتيها ) والغيبة محرمة بالاجماع ولهذا شبهها الله تعالى بأكل لحم الميت وهذا من التتفير والتحذير منها كما

قال صلى الله عليه وسلم يصف العائد في هبته انه ( كالكلب  
يقيء ثم يرجع في قيئه ) وثبت في الصحاح وغيره انه قال . صلى  
الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع ( ان دماءكم وأموالكم  
وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في  
بلدكم هذا ) وورد أيضاً أنه قال : ( كل المسلم على المسلم حرام  
ماله وعرضه ودمه حسب أمرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم ) ٠

وقد وردت أحاديث كثيرة لا تحصى بأسانيد شتى في مختلف  
كتب الأحاديث كلها في موضوع الغيبة لا يتسع النطاق هنا  
لحصرها وسردها كما وردت أقوال مأثورة من كافة الصحابة  
والخلفاء الراشدين وغيرهم في ذمها واستقبالها ، والآية القرآنية  
صریحة الدلالة على الغرض الذي يرمى إليه المشرع الأكبر سبحانه  
وتعالى من تحريم هذه الخلطة الذميمة والنهي عنها واجتنابها لما فيه  
من الأذى الذي يتحقق بيني الإنسان من وراء انتشارها وذريوعها  
بين الناس ٠

والواقع أن هذه الآية الكريمة نبهت إلى كثير من الأشياء  
التي يتواتر وقوعها بين الناس في كل لحظة من لحظات حياتهم ،  
والتي هي من أسباب الفتن بينهم والتنازع والبغضاء ، فأمر  
 سبحانه وتعالى باجتناب كثير من الظن لأن بعض الظن اثم ونهى  
عن التجسس والاغتياب وجعل الغيبة مثل أكل لحم الميت مبالغة  
في التغفير منها وتحقيرها والتحذير عنها ، فليتذبر المسلمون هذه  
المعانى السامية ان كانوا للحق متبعين ٠

الأمر بالحسنى

كثيراً ما تكون الكلمة صغيرةً . سبباً في إيقاد نار عداوةٍ بعضاءٍ بين فريقين متحابين ، أو بين فريقين متساقدين ، وذلك شاهد وملموس في كل مجتمع من المجتمعات العالمية ، بل لا نغالي إذا قلنا : رب الكلمة أثارت حرباً أو لجاجة سببها ضرباً . وقد أثبتت الحوادث الجارية المتعاقبة بتعاقب الملوين وكثيراً الجديدةين ، أن كثيراً من مشاكل الأفراد والجماعات أحدثتها الكلمة ذاتيةً . أو لجاجة جافةً ، ولم يقف الأمر عند حد الملاحاة والتراسق وإنما يتعداه إلى سفك الدماء وإيجاد الضيائين وتوزع القلوب بالترة والبغضاء .

والقرآن الكريم ، عمل بما فيه من حكمة سامية على اجتناب هذا الداء من أصله ، لو التفت إليه المسلمين وعملوا به .

يقول الله تبارك وتعالى « وقل لعبادى يقولوا التى هي أحسن ان الشيطان ينزع بينهم ان الشيطان كان لا انسان عامله مينا » .

وفي تفسير هذه الآية يقول المفسرون:

( يأمر الله تبارك وتعالى عبده ورسوله ، ان يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن

والكلمة الطيبة ) فانهم ان لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم وأخرج الكلام الى الفعال ووقع الشر والمخاصلة والمقاتلة ، ولهذا نهى أن يشير الرجل الى أخيه المسلم بحديده فأن الشيطان يتزع  
في يده ، أى فربما أصابه بها وجاء في الحديث عن أبي هريرة  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال « لا يشرين أحدكم  
إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في  
يده فيقع في حفرة من النار ) ٠

وجاءت أحاديث أخرى في مثل هذا المعنى لا تعد ولا تحصى  
وخلاصة المستفادة من كلام الله ، ومن كلام نبيه الكريم ، إن  
الإنسان يجب أن ينزع إلى القول بالتي هي أحسن ، واستعمال  
المعروف مع الناس بدل العداوة والشحنة ، وتجنب السفه في  
الملاحة التي لا تؤمن ، معتبرتها ولا يتقوى شرها ٠

فلو توفر الناس على اتباع هذه الحكمة الغالية ، لسلكوا  
سبيلًا من السبل المؤدية إلى سعادتهم في دنياهم ، ذلك علاوة  
على مشورة الله التي يجزى بها عباده المخلصين في كل عمل من  
أعمال الإحسان فتجتمع لهم مغفرة الله ورضوانه وجزيل ثوابه ،  
مع سعادة الدنيا ومع حفظ الود وحسن المعاشرة بين الأخوان من  
أفراد وجماعات ودفع المكر ومحاربة العداوة بينهم ٠

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره »

## تحرير السخرية والاستهزاء والمنافسة بين الناس

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منها ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تبازوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتبع فأولئك هم الظالمون » .

هذه الآية الكريمة ، تتعلق بموضوع خطير يتناول الناس في حياتهم اليومية ، وفي بيئاتهم المختلفة ، الكبار منهم والصغرى الرجال منهم والنساء لأنه يمس ناحية من نواحي الأخلاق العامة الشائعة بينهم ، ويتناول ما يقع بينهم في كل وقت ولحظة فكثيراً ما تكون السخرية أو الاستهزاء أو المنافسة أو اللعن ، سبباً خطيراً من أسباب التبغض والتحامل والشقاق والشحناه ، بل سبباً من أسباب الفتنة بين الناس ، وما تؤدي إليه الفتنة من شر مستطير .

فلنذكر ما جاء في التفسير خاصاً بهذه الآية ، قال المفسرون : ينهى الله تعالى عن السخرية بالناس أي احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال ( الكبر بطر الحق وغمض الناس — ويروى — وغمط الناس ) والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فانه قد يكون المحترق اعظم قدرًا عند الله تعالى وأحب اليه من الساخر منه المحترق له ولهذا نزلت الآية فنص على نهي الرجال واعطف بنهي النساء •

وقوله تعالى « ولا تلمزوا أنفسكم » أى لا تلمزوا الناس والهماز اللساز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى « ويل لكل همسة لمة » والهمز ما يكون بالفعل ، واللمس ما يكون بالقول • كما قال تعالى « هماز مشاء بنيم » أى يحتقر الناس ويهينهم طاغيا عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهي اللمس بالمقابل ولهذا قال « ولا تلمزوا أنفسكم » كما قال « ولا تقتلوا أنفسكم » أى لا يقتل بعضكم ببعض •

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما « ولا تلمزوا أنفسكم » أى لا يطغى بعضكم على بعض •

وقوله تعالى « ولا تتبذروا بالألقاب » أى لا تدعوا بالألقاب وهى التي يسوء الشخص سماعها •

وخلاصة هذه الآية الكريمة انها تحرم على الناس السخرية من بعضهم والاستهزاء ببعض ، وقد قال الشاعر :

تُرى الرجل الضعيف فتزدرِيه  
وفي أنواعه أسد هتسور  
  
ويعجبك الطرير فتزدهِيه  
فيختلف ظنك الرجل الطرير  
  
كما حرمت على الناس التباير بالألقاب ولز أنفسهم . فهل  
سمع الناس وهل وعوا .

## النهي عن الغضب وما يجر إليه

قال الله تعالى في كتابه العزيز :  
« والكافرين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب  
الحسنين » .

جاء في تفسير هذه الآية الكريمة ما يأتي :

أى إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه ، فلم يمسوه  
وعفوا مع ذلك عن أساء إليهم وقد ورد في بعض الآثار « يقول  
الله تعالى : يا ابن آدم اذكري إذا غضبت فلا أهلك فيس أهلك »

وقد ورد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
« ليس الشديد بالصرعة (١) ولكن الشديد الذي يسلك نفسه  
عند الغضب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ما تعدون  
الصرعة فيكم ) قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ( ولكن الذي  
يملك نفسه عند الغضب ) وقال ( الصرعة كل الصرعة الذي  
بغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويتشعر شعره فيصرع غضبه )

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير عن الأخفش بن قيس عن  
عم له يقال له حارثة بن قدامة السعدي انه سأله رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قل لي قوله ينفعنى وأقلل على  
على أعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا تغضب )  
فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب .

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ( من كظم  
غيطا وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمنا وآيمانا ) .

والعافين عن الناس ، أى مع كف الشر يغفون عن ظلمهم فى  
أنفسهم فلا يبقى فى أنفسهم موجدة على أحد وهذا أكمل  
الأحوال ولذا قال ( والله يحب المحسنين ) فهذا من مقامات  
الاحسان .

هذا بعض ما ذكره المفسرون فى شرح الآية وبعض ما أوردوه  
من الأحاديث الكريمة فى النهى عن الغضب ، والأحاديث كثيرة .

أما فى الواقع المشاهد فإن الغضب شعبة من الجنون وقطعة  
منه . فنكم من الجرائم الدامنة يرتكبها الشخص تحت تأثير  
الغضب وكم من الأفعال المخزية تصدر عن الإنسان وهو فى حالة  
الغيط حتى إذا ما هدأ وزالت عنه سورة الشر ، عاد فعرض بناء  
الندم ألف مرة على ما فرط منه فى غضبه ، وقد يقع منه أحيانا  
بعض الأشياء التى لا يمكن تداركها ولا يصلحها الاعتذار .

ومهما أردنا أن نتوسع فى هذا الباب ، فإنه لا يمكننا أن  
نجتاز بمقدار الشرور الأثيمة التى يكون الغضب سببها الأول ،  
والباعث عليها ، ذلك بآن السكرة الغالبة من جرائم المجتمع

الإنسانى لو عمل لها احصاء دقيق لرددت الى باعث واحد ، هو جموح النفس فى ثورتها وترك قيادتها لاهواء الشر حيث تطوح بها الى مالا يعلمه الا الله من العواقب الوخيمة السيئة .

وفي رأينا أنه لا يمكن أن يقع حادث سىء ترتكب فيه جنائية أو معصية ، الا ونفس صاحبه تكون مشربة بالغضب فالإنسان لا يرتكب عملاً اذا استفز اليه بأى دافع من الدوافع حسب أسبابه وظروفه وهذا الاستفزاز الذى قد تولده أى الأسباب هو نفسه الغضب أو الذى يوجد الغضب فى النفس فإذا وجد ثار بالنفس وسoul لها السوء وزين لها ما هي بسبيله من معصية أو اعتداء ، وذلك بخلاف ما اذا امتلك الإنسان نفسه وراجعتها وراضاها ، وحملها على كظم الغيظ فهناك تحمد المغبة ويزن الإنسان نفسه ويملك أعصابه فينظر الى ما هو واقع بين يديه بنظر الحقيقة الصافية المجردة عن زخرف اغراء الغضب واغواته ان حسح هذا التعبير — ويشوب الى رشده فلا يقع فى محظوظ أو مكروه ولا يسىء ولا يساء .

ومن أكمل صفات مكارم الأخلاق بعد ذلك أن يغفو المقتدر ، بعد أن يكظم غيظه ، لا أن يغروا غير المقتدر ، لأن شرط العفو هو كما قال المتسبى :

كل حلم أتى بغیر اقتدار  
حجه لاجيء اليها اللئام

## مكارم الأخلاق

يمدح الله بها نبيه

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه في القرآن الكريم :

« وانك لعلى خلق عظيم » .

آية قصيرة من القرآن بل جملة تتالف من أربع كلمات فقط، ولكنها تحوى في مجموعها أكبر المعانى وأسماءها ، وأجدرها بالمعانى والتقدير ، ونحن نجمل لك معناها في إيجاز ، لأنها ليس من المستطاع ولا في مجلد كهذا أن نعرض بالتفصيل لأخلاقي سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم فالقرآن الكريم وحده أجمالاً بأبلغ وصف جامع ، فقال : « وانك لعلى خلق عظيم » وعائشة رضى الله عنها سئلت عن أخلاق النبي فأجبت باجابة موجزة تتمثل فيها كل معنى البلاغة وتشتمل على كل ما يذهب إليه التفصيل من اسهاب ، أجل . لقد سئلت عائشة عن أخلاق النبي ، فقالت أنها « القرآن » وحسبك بهذه الإجابة .

قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن سعد عن رجل من بنى سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ، فقالت أما تقرأ القرآن « وانك لعلى خلق عظيم » قال قلت حدثيني عن ذاك ، قالت صنعت له طعاماً وصنعت له حفصة طعاماً فقلت لجاريتي اذهبى

فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبل فاطر حي الطعام ، قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطم فجمعت رسول الله . الحديث .

وفي روايات كثيرة أن عائشة سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هو القرآن ، ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام صار امثال القرآن أمراً ونهياً وسجية وخلقها طبيعة فما أمره القرآن فعله وما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الصياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس انه قال: خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي أَفَ قَطْ وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فعلته لم فعلته ولا شيء لم أفعله : أَلَا فعلته .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً قط ولا خرب امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين شيئاً قط الا كان أحبهما إليه أيسرهما ، حتى يكون اثماً فإذا كان اثماً كان أبعد الناس من الإثم . ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه الا أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل ، وعنده صلى الله عليه وسلم انه كان يقول « خياركم أحسنكم أخلاقاً » وعنده انه قال « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وورد عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ العاشية فأدركه

اعرابي فجذبه برداهه جبعة شديدة ورجع النبي فـى نحر الاعرابي حتى نظرت الى صفحة عاتق الرسول فاذا قد أثرت بها حاشية البردة ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله ثم ضحك ثم أمر له بعطاء .

وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان أثقل شيء يوضع فى ميزان المؤمن يوم القيمة خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذىء » وقال أيضاً لاصحابه « أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار . قالوا الله ورسوله أعلم . قال فان أكثر ما يدخل الناس النار الأجوافان الفرج والفم . أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة . قالوا الله ورسوله أعلم . قال فان أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » .

وعن عائشة قالت سمعت رسول الله يقول « ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وسائم النهار » .

وخلاصة ما نختتم به هذا الباب ، أن مكارم الأخلاق هي أفضل تاج يضعه الإنسان على رأسه بعد تاج الإسلام بل إن الإسلام قائم على مكارم الأخلاق كما هو ثابت من القرآن الكريم ، وحسبك أن تعلم أن أخلاق النبي الكريم التي مدحها الله ، إنما هي أخلاق القرآن لأنه تأدب به ومنه . فليعتبر المعتبرون .

## النهى عن شح النفس وما يؤدي اليه

طبع الله سبحانه وتعالى النفس الإنسانية على سور مختلفة من الغرائز فركب فيها الخير والشر ، ووهبها قبساً وهاجاً بل شعلة نيرة كى تضيء بها المحجه . و تستوضح السبل ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى التكليف بذلك القبس الذى وهبه لعباده، فمن أتم عليه نعمته به الزمه بما الزم به خلقه من العبادة والطاعة، ومن حرم منه أسقط عنه الواجبات بسقوطه .

ونظن أن القارئ فى غنى عن أن يقول له إن ذلك القبس الذى نشير إليه ، ليس هو سوى « العقل » الذى أنعم الله به على عباده فجعلهم بنعمته يستطيعون التمييز بين الخير والشر ، وبين الضار والنافع ذلك العقل الذى يقول عنه سبحانه وتعالى فى حديث قدسى « وعزتى وجلالى ما خلقت خلقاً أعز منك ، بك أخذ وبك أعطى ، وبك أحاسب وبك أعقاب » .

ومن الصفات الإنسانية ، أو بتعبير آخر من الغرائز النفسية، غريزة الشح فى كل نفس ، فهى طبيعة أصلية فى الإنسان تقابلها طبيعة الكرم ، وهاتان الغريزتان هما من الطبائع الأصلية فى النفس

البشرية وهم تتصارعان في كل نفس فمن تكون لها الغلبة يكون  
لها الظهور والبروز ورجحان الكفة .

وغريرة الشح في النفس ليست من غرائز الخير في الإنسان  
بل هي على العكس سبيل من سبل الشر والفساد ، وكثيرا  
ما يعاني المجتمع الإنساني من أهواءها الأهوان ، لذلك عيننا بأن  
تفرد لها بحثا خاصا كما عنى القرآن الكريم بالتنبيه إليها والتحذير  
منها . على أن القرآن الكريم أفاض في الحديث عن التبذير  
والإسراف وكذلك في الحديث عن البخل والامساك ، وأسكنه  
أوضح بصفة خاصة هذه الغريرة بأن افرد ل الكلام عنها فقرة من  
فقراته وإن شئت فقل آية من آياته البينات ، فقد قال سبحانه  
وتعالى :

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »  
وقد سبق أن تقدم الكلام على البخل والامساك ، وعلى  
التبذير والإسراف ، بتفسير ما ورد بشأن تلك الخصال مما هو  
ثبت في مكانه وإنما أردنا هنا بالتحديد أن تتكلم عن الشح  
الذي ورد بالتخصيص في هذه الآية ، فقد قال المفسرون بصددها  
ما يأتي :

قال أحمد ، حدثنا عبد الرزاق بن سنده عن جابر بن عبد الله  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( ايكم والظلم فان الظلم  
ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم  
حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارفهم ) .

وروى الأعمش وشعبة عن عبد الله بن عمر ، حديثاً مثل هذا في المعنى وإن كان يختلف في النص بعض الاختلاف .

وروى عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً ) .  
وروى عن أبي الهياج الأسدى قال كت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول ( اللهم قن شح نفسي ) لا يزيد فقلت له : فقال انى اذا وقى شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل . واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه . وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ( بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة ) .

هذه بعض الأقوال التي وردت في ( الشح ) وقد بقى علينا أن نذكر ما جاء في معنى هذه الكلمة لأنها كما قلنا لا تقف عند معنى البخل كما يظن البعض ، فالشح في لغة العرب البخل الشديد ومنع الفضل ، وقال ابن عمر ، ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل إلى ماليس له وقال سعيد بن جبير الشح هوأخذ الحرام ومنع الزكاة ، وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحaram ، وقال ابن زيد ( من لم يأخذ شيئاً نهاده الله عنه ، ولم يدعه الشح إلى أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله ، فقد وقاه شح نفسه ) .

هذا هو الشج عافاك الله وأقالك منه ، فانظر الى آية خلة ذميمة ينزل المتشح به ، والى أي درك عميق ينزل المتصف به . وقد صدق الحديث الذى تقدم فى قوله « برىء من الشج من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائية » وكيف لا يكون كذلك أى وكيف لا يبرأ من الشج من تكون هذه خصاله ، وهى خصال ان لم تكن هي الكرم المحس فهى الوقاية من الشج ، وكلامها على حد سواء .

وفي الواقع أن الشج بمعناه الذى ورد فى الآية ، أى معناه الصحيح المتعارف عليه ، إنما هو خلة مذمومة مهينة تنزل بصاحبها الى الدرك الأسفل فى دنياه وآخرته وقد صدق القائل .

### « أذل الحرص أعناق الرجال »

وليس كالشج خلة تحمل صاحبها على قبول المهانة ، والرضى بالدنيئة ان لم يتعدى الأمر ذلك الى اقتراف المحرمات واستباحة المنكرات لأن الصحيح والعياذ بالله ، يعميه شحه عن كل ماعداته فهو يفرط فى كرامته ارضاء لشحه ويتسامح فى عرضه ارضاء لشحه ويستمرىء الموبقات ويستهين بالمخزيات والمنديات ، كل ذلك فى سبيل شحه الذى يزين له كل أولئك والعياذ بالله . ومن هنا أفرد القرآن الكريم هذه الآية بالتفصيص على الشج والتوفى للتبنيه منه ، نسأل الله منه الوقاية والسلامة .

## الباب الثاني

### في الشؤون الاجتماعية

- ١ - الخمر بعث الجرائم •
- ٢ - أثر الشريعة في قطع دائرة الجرائم •
- ٣ - السحر في معتقدات العامة •
- ٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن التفرق والاختلاف •
- ٥ - وجوب التثبت في تصديق الأقوال ، وقصة بنى المصطلف .
- ٦ - الاستقامة من أسباب السعادة •



## الخمر

### أم الكبائر ومبث الجرائم وفساد الأخلاق

تعب العالم من أقصاه إلى أقصاه ، في معالجة مشكلة الخمر ، وما تسببه من المشاكل بين الأفراد والجماعات ، وما تبثه عليه من الجرائم ، وما تبثه من فساد الأخلاق ، ولم تزل الأمم والحكومات ، قائمة قاعدة . قلقة متغيرة ، في بحث هذا المشكل الأخلاقي الاجتماعي العظيم ، وأكبر الظن أنها لن تزال كذلك إلى أن تقوم الساعة ، لأن المرض الدفين ، يظل يزعج صاحبه على الدوام حتى يحين استئصاله من أرومته ، والا فلن تجدى العلاجات والمسكنات ، الا بمقدار التخدير المؤقت ، حتى اذا ما عاودت الصحوة ، عاودت معها الآلام والأوجاع .

هناك أمة من الأمم رأت أن تحرم الخمر وأمة أخرى رأت أن تخفف من حدتها بتحديد ساعات يبعها ، وغيرها اقترحت الحد من غلوائها بتقييص وارداتها ومصنوعاتها ، وهناك غيرها وغيرها ، والحركة قائمة والضجيج مستمر ، والأئم مرتفع ، والصرانع يدوى ، والتأوه يسد المسامع ، والتوجع يستطيع بالألباب ، كل ذلك تذمرا من الخمر وما تبثه في المجتمعات من شرور وأثام ،

وعربدة وارتكاب جرائم وفساد أخلاق ، وما يترتب على ذلك من اشغال القضاء وقيام المحاكمات وبعث الخصومات . وهنالك مؤتمرات تعقد في أكثر المدن والعواصم ، وشكوى تتصاعد إلى أجواز الفضاء ، وتفكير تشتعل فيه الأدمعة . كل ذلك للبحث عن وسيلة ويتقى بها شر الخسر ، ورفع مشارها وآثامها والخبرة في الواقع المشاهد ، هي أم الكبائر ، سواء اعترفت القوانين الوضعية بذلك أم لم تعرف ، سواء اصطلحت على اباحتها أو على منعها . والعجب العجاب أن القوانين الوضعية تبيحها ، وترخص بها وتعترف بآثامها ، وتسهل سبيل ورودها ثم تتذرع من شرورها . وتعجى الناقات الرابحة من تجارتها ثم تصرف الناقات الباهظة على مسح آثار جرائمها . فما هذه المتناقضات ؟ وما هذا الداء العيء ، الذي أعيانا نطس الأطباء ، من مفكري الأمم وقادتها ، وزعمائها ورجالات الرأي والكلمة فيها ، وما هذه الحيرة كلها في محاولة الالهاء إلى علاج ناجع ، دون الوصول إلى هذا العلاج ، أو الالهاء إلى بصيص من النور يخرج تلك الكربة ، ويزيل ذلك الغم .

ان علاج هذه الحالة المؤلمة التي أدت بالمجتمع الانساني إلى تلك الكوارث ، هو علاج لا أقول انه بين ظهرانينا ولا بين أيدينا ، بل هو أقرب اليانا بكثير من تلك الأمثلة ، اذ هو أماماً أعيننا وهو في مثل هذا الضوء القوى الساطع الذي نستدير به السبيل . ولكننه ضوء قوى ساطع حقيقة ، ونظرنا لقوته هذه فلا

يصره الا قوى البصر سليم البصيرة ، أما ضعيفهما فيعيشى بصره  
وتعشى بصيرته دون رؤياه ، والا فبماذا تفسر وجود علاج حاسم  
كهذا أمام الأ بصار فلا تهتدى اليه العيون ، الا أن تكون قوة  
ضوئه أعشت عنه الأ بصار — أعني الأ بصار الضعيفة — كما  
ذكرت .

ليتفضل القارئ وهو مأجور مشكور ، وليسألنى ما هو  
هذا العلاج الذى أعنيه ، والذى اشدت به ونوهت عنه . وأنا  
أجيئه به فى قوله تعالى :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع  
للناس ، واثمها أكبر من نفعهما »

وفي آية أخرى : « انما الخمر والميسر والانصاب والأذالم  
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »

اذن . ليس هناك من العلاج النافع ، والدواء الشافى غير  
الاستئصال والاجتثاث ، وليس هناك من السبيل ما يؤدى الى  
راحة المجتمع الانسانى منها ، ووقايتها من آثارها وشرورها ، غير  
تحريمها والرجوع الى أوامر القرآن فيها . على أن القرآن لم  
يعالج ناحية من نواحيها ، وهى ناحية المنع فقط ، دون الاشارة  
الى الناحية الأخرى ، ناحية الغنم منها ، بل عالج الوجهين فيها ،  
فقال ان فيها اثما كبيرا ومنافع للناس ، فاما ناحية الاثم ، فهو فى  
عصيان التحريم ، وفيما يتربى على هذا العصيان من ارتكاب

المحارم واقتراف الآثام ومزاولة الكبائر ، وكل ما تضجع به المجتمعات العالمية التي تبيح الخمر وتشكوا نتائج اياحتها ، وأما ناحية المنافع فهي ناحية أقل ضآلة من أن تقاس إلى جانب تلك الآثام ، بل إن المنافع يصح أن تعتبر فردية بينما آثامها ومصائبها ، تعتبر آثاما عامة ومصائب جامدة ، فتاجر الخمر يربح منها والمتسبب في تجاراتها قد يشري منها ، ولكن المضار التي تصيب المجتمع برمتها من آثامها ومصائبها وشرورها ، والدماء التي تسفك في سبيلها ومن أجلها ومن النتائج المترتبة عليها ، والانحطاط الذي يصيب سمعة الأمة من جراء انحطاط أخلاق المدنين فيها : ذلك كله مala يقدر بمال ، وما تفيه في علاجها الأموال ، وما لا تدرأه أنفس قيائل الدر والجوهر ، ذلك إلى جانب ما تنفقه الحكومات على جنودها ومحاكيها وقضاتها ومكاتبها من الذين يختصون بمحاكمة الجرائم التي تكون أمخرة سببها وعاملها الأول .

والقرآن الكريم يحل هذه المشكلة بجرأة قلم كما يقولون ، أو بأية صغيرة من محكم آياته التشريعية ، والناس يهسلون هذا الحل ، ويكون ثم يتباكون ويضجعون ويعولون ، ويصيرون ويشكون ، ويوجدون الداء وينتشرون عن الدواء ، وهو في متداول أيديهم وهم عنه لا غافلون بل متغافلون .

لم يبق غير خطتين ، لتخير الأمم أنبئها وأقومها للسبيل ، فهذه الخمرة مباحة بتراخيصكم ورغبتكم ، ومعاقب على جرائمها

بل وعليها ذاتها في أنظمتكم وقوانينكم ، فاما وقد أبتحموها ،  
أن تصطلحوا على فوائدتها ومنافعها ، وتتواضعوا على ضرورتها  
لحياتكم ، وتنفوا عنها كل خبث وذم ، وتصفوها بآنانها أم الطيبات  
وترفعوا العقوبة عن جرائمها وآثامها ، وتعفوا الناس من عقوبة  
ما يرتكبون بسببها وفي سبيلها ومن آثارها ، فنحمد لكم هذه  
الصراحة ولو كانت خطأة .

اما هذه الخطة ، واما خطة أخرى ، تقواون فيها أن الخمرة  
رجس من عمل الشيطان ، وتتواضعوا على تحريرها ، فترىحوا  
أنفسكم من عناء الاشتغال بتجريتها ، وترىحوا المجتمع الانساني  
من مكابدة شرورها وآثامها وترجموا الانسانية من جرائمها  
وجنایاتها ، وتبروا دينكم القويم باطلاعه والعمل به .

سيقول السفهاء من الناس ، هذا كلام يصدق في الخيال ولا  
يجري مجرى الحقيقة لعدم تفيذه ، فأجيبكم بأن عصركم لن  
يفصل العصر الذي نزل فيه هذا التحرير ، وأممكم ليست أشد  
من الأمم التي صدعت بأمر هذا التحرير .  
ولى ديني ولكم دينكم والسلام .

## أثر الشريعة في قطع دابر الجرائم

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل » ٠٠

« ٠٠٠ ولهم في القصاص حياة يا أولى الألباب » ٠٠

تعبت الأمم ، في معالجة هذا الموضوع الخطير ، تعباً أقسى مضاجعها واقتربت لأجسادها الهم والقتاد ، ونظرة سطحية بسيطة ، يلقى بها الإنسان على أخبار المجتمعات العامة ، وأنباء الصحف المختلفة ، يظهر له في منتهى الوضوح والإبانة ، الهوة السحيقة التي تحدّر إليها الحياة الإنسانية ، والغور العسق الذي تزلق فيه سعادة البشر ، والأخطر المفجعة التي تصيب الأخلاق العامة في الصميم ، لا شك أن ذلك كلّه مبعثه شيء من التهاون في اتباع أقوام السبل لتهذيب الحياة الإنسانية وكبح جماح النفس البشرية ، ولقد اختط القرآن الكريم ، أقوام السبل التي تحوط سياج المجتمع من عبث العابثين وفساد المفسدين ، فقال تعالى في محكم تنزيله :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل ، الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأئشى بالأئشى ، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بحسان ، ذلك تخفيف من

ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم في  
القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وهذه الآيات البينات ، تشتمل على كثير من معانى التشريع  
الالهى الذى يجب على الخليقة أن تتبعه وتصدح به . ولسنا الآن  
في معرض تبيان طرق التشريع فى القرآن الكريم وأحكامه ،  
فالأيات كثيرة في موضوعها ، وبعضها نسخ ببعض ، وإنما أردنا  
أن نشير إلى الحكمة الالهية العالية التي وردت في هذه الآية ،  
وهي قوله « كتب عليكم القصاص في القتل » ، ومعنى القصاص  
هو العدل ثم قوله ، « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب »

أجل ان القصاص هو السياج الذى يحول بين الانسانية وبين  
الوحشية ولو لا القصاص ، لتساوت البشرية والحيوانية كما أن  
أبسط تهاون فى تطبيق القصاص يؤدى الى مثل تلك الحالة من  
البغوضى ويجرد الانسانية من أعلى ما تعتز به من العدالة وعرفان  
الحقوق . والنفس أمارة بالسوء ، إن لم ترتدع عن غوايتها الى الحد  
قوى من الخوف والسلطان ، قد تسترسل في غوايتها الى الحد  
الذى يتعدى ضرره الى المخلوقات الأخرى والى محارم الله ،  
ومن هنا كانت فكرة العقوبة الرادعة لاصلاح المجتمع وحياته .  
ولقد تكلم كثير من علماء الاجتماع ، وعلماء النفس وعلماء  
القوانين ، أقوالاً كثيرة مختلفة في تشديد العقوبة على الجرم  
أو عكسها اذ يعتبر بعضهم أن الجرم كالمريض يجب أخذة بالمعالجة  
والتطبيب حتى يبرأ من مرضه أو اجرامه ، ويعتبر بعضهم أن

المجرم كالعضو الفاسد في الجسد السليم يجب بتره حتى يبرأ  
الجسم من أذاه . وكثير القال والقيل في هذا الموضوع وكثرة  
استرزفت الشيء الكثير من المجهودات وانتكير ، مما لسنا بصدر  
استعراضه وإنما ساقنا الاستطراد إلى الاشارة إليه .

وفي رأينا أن سعادة المجتمع ضاعت بين أقوال هؤلاء ، وأقوال  
أولئك ، لأن العدالة المطلقة في الدنيا ، إنما هي شيء مربوط في  
مخالب العنقاء ، أو مناط باعنق السعالى . وبحسينا أن توجد  
العدالة النسبية فتختفف من شقاء الإنسانية ولآلامها .

أما لو أريد التماس العدالة الحقة التي لا يأتيها الباطل من بين  
أيديها ولا من خلفها ، فما أقرب السبيل إليها ، وما أدناها منا  
ونحن عنها صادفوں مشيحوں . وهي بين أيدينا وتحت أبصارنا .  
أجل هذا هو القرآن الكريم ، وهذه آياته البينات ، وهو مصدر  
الحكم العظيمة التي تكفل للمجتمع سعادته في كل ناحية من  
نواحي حياته اليومية ، وهذا الذي قصدنا الاشارة إليه في الآية  
الكريمة « ولهم في القصاص حياة يا أولى الألباب » وقد قال  
فصحاء العرب ( القتل أنقى للقتل ) .

ويقول المفسرون أن المراد أن تشريع القصاص ، أي قتل  
القاتل يحتوى على حكمة عظيمة هي صياغة المهج والنفوس من  
الاعتداء لأن القاتل اذا علم أنه مأخوذ بدم المقتول ، أو على  
التحقيق اذا علم أنه مقتبول بالقصاص ما أقدم على ارتكاب  
جرينته ، واثنى عزمه عن القتل ، وبذلك تحققت حكمة ، ولهم  
في القصاص حياة ، بصون حياة المقتول ودمه المطلول .

## السحر في معتقدات العامة

حديث السحر والسحرة حديث ابتدأته السنة العامة وفاقت  
به معتقداتهم في هذا الزمان ، وربما كان في كل زمان ، وهو  
خرافة منتشرة ، خصوصا في طبقات معينة من الطبقات الدنيا  
في كل أمة والمضار الاجتماعية والأخلاقية التي تنشأ من وراء  
العقيدة فيه والإيمان به ، والعمل باوهامه ، إنما هي مضار تأصلت  
في المجتمع العالمي وثالث من هنائه وسعادته قسطاً كبيراً بحيث  
ترتب عليه كثير من الشقاء في الأسر والمجتمعات .

وقد ورد في القرآن قوله « وما كفر سليمان ولكن الشياطين  
كفروا يعلمون الناس السحر » وقوله « فيتعلمون منهما ما يفرقون  
بـه بين المرأة وزوجها ، وما هم بشارين به من أحد إلا باذن الله » .

ونحن نقول أن السحر في هذا الزمان خرافة منتشرة ولا تذكر  
أن السحر علم من العلوم التي كانت معروفة بدليل ما ورد عنه في  
القرآن من الآيات وما عرف عنه من القصص والأساطير ، وإنما  
السبب الذي حملنا على أن نقول عنه أنه خرافة ، الجهل به في  
هذا العصور المتأخرة وما يستغله بعض الدهاء من هذا الجهل  
وادعاء العلم به ، والتغريب بقول بعض البسطاء بأدواتهم المقدرة

عليه لا بتزاز أموالهم والضحك منهم ، وسواء كان الذين يدعونه ويستعملونه ، يفعلون ذلك عن علم حقيقى به أو على سبيل الادعاء ومجرد الكذب ، فهو على كل حال حرام شرعا لما يتربى عليه من تأثير الأذى بين عباد الله ، والتى أشار إليها القرآن فى قوله . « فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه » .

والسحر وان كان فى الواقع من العلوم التى اعترف بها إلا أنه شيء اختلف المفسرون والمتقدمون فى شرحه فقال قوم انه مبني على مجرد الوهم والتخيل والايحاء وقال فريق آخر انه قوامه بعض الرقى والاسماء وقد وردت أقوال كثيرة منها ما هو غريب ومنها ما هو عجيب ولا نرى أن تتعرض لتلك الأقوال لأنها ليس من غرضنا أن تتقدم الى القراء بتعريف ما هو السحر وما هو أصله وما هي أغراضه ، ليس ذلك من همنا ذلك لأنه لافائدة لهم من ورائه ولا يعنيهم فى كثير ولا قليل ، ولأن ما قيل فيه وكتب عنه شيء كثير جدا وحسبنا أن نشير الى الغرض الذى قصدنا اليه وهو تبيان أن السحر من المحرمات وأنه يستعمل فى الآيذاء والتكليل وما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وان بعضهم يستعمله بسبيل الايهام والتغريير فى حين لا يكون هناك سحر ولا سحرة .

وادعاء السحر هو المشاكل الاجتماعية التى يعانيها العالم اليوم فى كثير من جهاته الهمجية منها والمتمدنة ، لأنه خرافات وجدت لها فى كثير من الأوساط اذهانا تقبلها وادهانا تروج لها

وأذهاناتعيش من ورائها وأذهاناً تعتقد بها وهذه الأسباب مجتمعة إلى جانب ما يشعر به الإنسان من غريزة حب الاطلاع والاستكشاف واكتفاء الغيوب إلى جانب الأمور الخاصة والحالات التي تكون عليها بعض النفوس كمن له مسافر أو قريب مريض ، أو متطلع إلى رزق أو عمل ، أو ما شاكل ذلك من حواجز الناس في كل زمان وفي كل أمة . ذلك كله مجتمعاً حمل الناس على الآisan بوجود السحر وبقيمتة وترتب على ذلك وقوع مضرات في المجتمع الإنساني ، أصاباته في كثير من نواحيه ، فبعضها في الجانب الأخلاقي ، وبعضها في الجانب الاجتماعي ، وبعضها في غير هذين الجانبيين فكم تهدمت بيوت بهذا الوهم وكيف شتت أسر ، واريقـت دماء وهرتكـت أخلاقـ وهو وهم غـريب أكثر ما فيهـ من القـوة انهـ وهمـ يصـيبـ المـتـعرضـ لهـ كماـ يـصـيبـ المـرـضـ سواءـ بـسوـاءـ .

والقرآن الكريم صريح العبارة في الإشارة إلى هذه المرضـ الكـبـيرـةـ ، في تلك الكلمة البليـغـةـ التي صـورـ بهاـ أساسـ السـكـيانـ الاجتماعيـ ، وكـيفـ يـنـهـارـ عـنـدـ (ـ ماـ يـفـرقـونـ بـهـ بـيـنـ الـمـرـءـ وـزـوـجـهـ )ـ وكـفـىـ بـهـذـهـ الـجـمـلـةـ الصـغـيرـةـ فـيـ مـبـنـاهـ ،ـ السـكـبـيرـةـ فـيـ مـعـنـاهـ ،ـ وـاعـظـاـ وـنـذـيرـاـ لـمـنـ تـدـبـرـ وـوـعـىـ .

فلوـ أـنـ النـاسـ التـفـتوـاـ إـلـىـ كـلـامـ رـبـهـمـ وـوـعـواـ مـاـ جـاءـ فـيـهـ مـنـ عـظـاتـ وـعـبـرـ ،ـ لـأـرـاحـوـاـ أـنـفـسـهـمـ مـنـ عـنـاءـ الـمـشـكـلـاتـ الـاجـتـمـاعـيةـ

الخطيرة التي يجسون آثامها ويتردون في حمأتها ، ويضجون  
بالشکوى من بلائها وألامها .

( فائدة ) من أراد أن يطلع على ما ورد في موضوع السحر  
والسحرة وتفسير الآيات القرآنية التي وردت فيه ، فليراجع  
تفسيرى الشيختين البغوى وابن كثير فى المجلد الأول من الصفحة  
٤٢٨ إلى ٣٧٠ حيث يجد ثمة الدواء الشافى الذى ينفع غلته  
ويشبع نهمته . والله أعلم .

## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنهي عن التفرق والاختلاف

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليتات وأولئك لهم عذاب عظيم » .

يقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة – وهى الفرق من الناس ، متتصبة للقيام بأمر الله فى الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » . وقال أبو جعفر الباقر ، قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية ثم قال « الخير اتباع القرآن وستنى » والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متتصدية لهذا الشأن وان كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع

فبسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان ) وفي  
رواية وليس وراء ذلك من الايمان جبة خردل ، وقال الامام أحمد  
بسنده عن حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
( والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو  
ليوش肯 الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتسدعنه فلا  
يستجيب لكم ) \*

والأحاديث كثيرة في هذا الباب ، كما أن الآيات القرآنية التي حفلت بهذه المعانى السامية التي لا تحصى :

والله سبحانه وتعالى ينهى عن التفرقة والاختلاف لما فيه من  
المضرة العظمى والمعصية الكبرى ، بالمجتمعات الإنسانية ، وقد  
روى الإمام أحمد بن سنه عن عبد الله بن يحيى قال : حججنا مع  
معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة قام حين حلّ صلاة الظهر  
فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( إن أهل الكتابين  
افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق  
على ثلاث وسبعين ملة ) — يعني الأهواء — كلها في النار إلا  
واحدة — وهي الجماعة — وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتبعون  
بهم الأهواء كما يتبعون الكلب ب أصحابه لا يبقى منه عرق ولا  
منفصل لا يدخله ) والله يا معاشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم  
صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به •

من هذا الذى تقدم يتبيّن مقدار عنایة القرآن الكريم  
والأحاديث النبوية بمسألة الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر وهم خلتان لا ينكر فضلهما في تقسيم الأخلاق البشرية  
والمجتمعات الإنسانية ، وكذلك العناية بمسألة الاعتراف والنهي  
عن التفرق ، فليس بمجنحود ما في الجماعة من مصلحة عامة  
للجمهور بتوحيد كلمته والتوفيق بين قلوب أبنائه .

## وجوب التثبت في تصديق الأخبار وقصة بنى المصطلق

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا ، إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن  
تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » ٠

هذه آية من القرآن الحكيم ، يحسن بنا قبل أن تتعرض  
لتفسيرها أن نذكر شيئاً من أهمية موضوعها ٠ فهو في نظرنا له  
من الأهمية والخطر في حياة المجتمعات العامة ، وحياة الأسرة على  
الخصوص ، ما سنعالجه فيما يلى ٠

كثيراً ما يحدث بين الناس وبعضهم ، أن يتلقى أحدهم حديثاً  
مفتيри تنقله إليه ألسنة خاصة ، يحمل فريدة ذميمة ، فيتقبل ذلك  
الشخص ذلك الحديث كما يتلقى الوحي المنزّل ، فإذا به ينقلب  
على عقيبه طائشاً حاته ، ساخطاً غاضباً ، ويثور بالغضب على من  
ظنّه صاحب تلك الفريدة ولا يبعد أن يتماسكاً أو أن يتتطور بينهما  
الأمر إلى شجار أو عراك ، وإن شئت فقل سفك دم واتهاك حرمة

واعتداء ، وقل في كل ما يسوله الغضب للمرء من شرة وجنون ،  
والغضب شعبة من الجنون .

ولسنا نذهب مذهب ضرب الأمثال أو تخيل القصص اذا ما  
قلنا أن كثيرا من الحوادث الدامية التي تهز في كبد المجتمع  
الإنساني ، رالتى كثيرا ما تقوض البيوت وتثل الأسر ، ترجع  
في مجتمعها إلى كلمات يدسها فاسق لا يرعى واجبا ولا انسانية ،  
فتسurge له تيجهتها المطلوبة من الدس والتفريق ، ولسنا نذهب  
مذهب الغلو في هذا الذي قوله ، اذ أنه حقيقة واقعة يدركها كل  
إنسان ويعرفها كل عاقل متدرس بشئون الحياة والمجتمعات العامة  
والخاصة ، ولقد درج بعض من لا خلاق لهم من لا يعرفون  
وازعا من دين أو مرؤة ، إلى اتخاذ هذه الخطة الحمقاء ، قاعدة  
خلقية يتخطبون في يديه دياجرها ، ويسيئون إلى الإنسانية أكبر  
اساءة بما يفعلون وهم لا يشعرون ، بل يشعرون ويتلذذوا  
بارتكاب الجريمة استجابة لشرة النفس المتعطشة إلى الدم الآسر  
وإذا شئت أن تعرف قيمة هذا المجرم الذي يتخذ من دماء  
الناس تجارة يشري منها ، أو لهوا يتسلى به ، فلتتعلم أن قيمته هي  
الفسوق والعياذ بالله فقد وصفه الله به كما ورد في الآية الحكيمية  
التي ثبتت تفسيرها فيما يلى :

قال المفسرون :

ان الله تعالى يأمر بالتبليغ في خبر الفاسق ليحتاط له ثلاثة حكم  
يقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحكم بقوله

قد اقتفي وراءه وقد نهى الله تعالى عن اتباع سبيل المفسدين ،  
ومن هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول آية رواية مجهول  
الحال لاحتمال فسقها في نفس الأمر .

ولهذه الآية قصة يرد إليها سبب نزولها ، فقد قالوا روایات  
كثيرة في موضوعها وأحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده  
من رواية ملك بنى المصطلق وهو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار  
والد ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين .

قال الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن سابق عن عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع  
الحارث بن ضرار الخزاعي يقول : قدمت على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به ،  
ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع إليهم  
فادعوهم إلى الإسلام وآيتاء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته  
وترسل إلى يارسبول الله أبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت فلما  
جمع الحارث الزكاة من استجاب له وبلغ أبا يحيى الذي أراد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول  
ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى  
ورسوله فدعا بسرورات قومه فقال لهم إن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان  
عندى من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف  
ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه فانطلقوا بنا نأته إليه ، وبعث

رسول الله الوليد بن عقبة الى الحارث ليقبض ما كان عنده فهذا  
كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أَن سار الوليد حتى بلغ بعض  
الطريق فرق (أى خاف) فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقال يا رسول الله إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى،  
فغضب رسول الله وبعث الى الحارث • واقبل الحارث بأصحابه  
حتى اذا استقبله وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا  
هذا الحارث فلما غشى عليهم قال لهم الى من بعثتم • قالوا اليك ،  
قال ولم قالوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك  
الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله • قال رضي  
الله عنه لا والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني ، فلما  
دخل الحارث على رسول الله قال ( منعت الزكاة وأردت قتل  
رسولي ) • قال لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما  
أقبلت الا حين احتبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
خشيت أن تكون سخطة من الله ورسوله قال فنزلت الآية « يَا أَيُّهَا  
الذِّينَ آمَنُوا إِنَّمَا كُمْ فَاسِقٌ بَنِيَا » إلى آخره •

وقد وردت روایات كثيرة في هذه القصة ، وهي قصة بنى  
المصطلق ، ولكنها كلها في مجموعها لا تخرج عن المعنى الذي  
أشرنا إليه ، وختمت أكثرها بأن الرسول صلى الله عليه وسلم  
غضب من ذلك النباء وكاد يهدم بعزو بنى المصطلق لما بلغه عنهم من  
منع الزكاة ومحاولة قتل رسوله فنزلت الآية المتقدمة •

وانما أوردنا تفسير الآية بالنص ، والقصة التي كانت سبب نزولها لتزيد في توضيح المعنى الذي ترمي إليه تلك الحكمة القرآنية السامية في ضرورة تبيان الأخبار قبل تصدقها ، لما يترتب عليها من خطورة في حياة المجتمع وفي حياة الأفراد كما أشرنا إليه في أول الكلام ، وحسبنا أن نتوه من ناحية أخرى بالمعنى الأدبي الدقيق الذي تشتمل عليه هذه الآية فوق المعنى الاجتماعي السامي الذي أشرنا إليه . وقد يملا قيل في الأمثال العامة ، وما آفة الأنبياء إلا رواتها .

فليتأمل في القرآن من يريد التأمل ، وليتدبّره من يتدبّر وفوق كل ذي علم علييم .

## الاستقامة من أبواب السعادة

قال الله تعالى في كتابه الكريم :  
« وَأَن لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الظِّرِيقَةِ لَأُسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدْقاً  
لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ » .

اختلفت أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية ، فقال بعضهم:  
وأن لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام وعدلوا إليها  
واستمروا عليها « لأسقيناهم ماء غدقاً » أي كثيراً والمراد بذلك  
سعه الرزق كقوله تعالى « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا  
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » وعلى هذا يكون معنى  
« لنفتنهم فيه » أي لنختبر من يستمر على الهدى ومن يرتد  
إلى الغواية . وقال بعض المفسرين « وان لو استقاموا على  
الطريقة » أي طريقة الضلاله .

و سواء كان هذا أو ذاك ، فالشىء الذي لا شك فيه أن  
الاستقامة باب من أبواب السعادة وسعه الرزق وأنها الطريق

الموصل الى راحة الضمير وهدى الانسان ، وقد أمرنا الله بها  
في قوله تعالى « فاستقم كما أمرت » والاستقامة على الطريقة  
المثلى هي المعنية في كلام الله ومعنى كما أمرت ، أى كما نزل  
عليك في القرآن من التعليمات بالاتتمار بآوامن الله تعالى والابتهاء  
بنواهيه . ولا شك أن اتباع الأوامر الالهية واجتناب محارم الله،  
هو معنى الاستقامة المنشودة التي تؤدي بالانسان الى طريق  
السعادة وسعة الرزق والى كل خير وفلاح .

# الباب الثالث في الشؤون الصحية

- ١ — نظام الحجر الصحي في القرآن
- ٢ — اعتزال النساء في المحيض
- ٣ — النظافة في الإسلام
- ٤ — نظام فطام الطفل



## نظام الحجر الصحي في القرآن

أحدث ما ابتكرته أدمغة المفكرين ، في العصور المتأخرة وفي أرقى الأمم ، في حالات الأوبئة العامة ، التي تحتاج البلاد والعيادة بالله ، هو الحجر الصحي ، أو العزل ، أي عزل المريض أو المرضى في مكانهم ، فلا يدخل إليهم أحد ، ولا يخرج من عندهم أحد ، وذلك تحديد للمرض ومنع من انتشاره وتسرب أوبائه .

(١) وقد يجهل بعض الناس أن هذا العزل بمعناه المتعارف عليه اليوم ، إنما هو مأخوذ من القرآن أخذًا صريحة لاشية فيه ولا مواربة ، وقد يظن بعض الناس ، أن هذا النظام من مبتكرات العصر الحاضر ومن تفكير أهله ورجاله ، وهم مخطئون في هذا الظن ومعذورون بعدم وقوفهم على الحقائق التي اشتغلت عليها أسرار القرآن الكريم .

ونحن لا تعصب للقرآن لمجرد التعصب ، حين ترد إليه كل شيء ، ونهتدى بهداه في كل شيء ، فانما تقول ما تقول بأدلة هي آيات الله البينات بحيث لا ندع سبلاً للمواربة أو المكابرة .

---

«(١) لم نجد للمتقدمين رأيا في هذا الموضوع ، ولكن الفرض من البشأن أن العزل الصحي هو رأى ناجح وهو من الآراء السديدة المتقدمة التي لم تكون وليدة هذا العصر ، أما مسألة آيات العذري فقد تكلم عنها من المتقدمين الإعلام الشيشخان ابن تيمية وأبن القيم وغيرهما من المحققين وقالوا أنها تقع بالن الله ويتأولون حديث «لا عذري» بأنه نفي لا كان يعتقد العرب في الجاهادية من تالين العذري بطبيعتها .

اما فرضنا من آيات هذا الفصل ، فهو اپساح سبق القرآن الكريم الى بيان قائمة العزل الصحي التي ادى جهابذة هذا العصر انها من وضع الذهانهم وهي في الحقيقة نعمة من نعم الاسلام .

يقول القرآن الكريم :

« ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ، ثم أحياهم ، إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكون » \*

صدق الله العظيم ، إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكون \*

فلنرجع إلى آقوال المفسرين في هذا الموضوع \*

اختلف المفسرون في تحديد عدد هؤلاء القوم فقال ابن عباس إنهم كانوا أربعة آلاف ، أو ثمانية آلاف وعن وهب بن منبه وأبي ملك ، انهم بضعة وثلاثون ألفاً وقال البعض انهم من قرية تسمى ذاوردان من واسط ، وقيل انهم من أهل اذرعات ، وأن بلدهم أصييت بالطاعون ففروا منها وقالوا نخرج إلى أرض ليس بها موت ، حتى اذا كانوا بموضع من الطريق قال الله لهم موتوا فماتوا ، فمر عليهم بعد حقبة من الزمن نبى من الانبياء فدعى ربه بالحياة لهم فأحياهم \*

هذا هو التفسير الذى فسر به تلك الآية جماع المفسرين من السلف ، ثم جاء الحديث النبوى الصحيح الذى عمل به عمر بن الخطاب : كما سنرفيه فيما بعد ، يقول عن الوباء : « اذا كان بأرض يوأتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، وإذا سمعتم به بأرض ف بلا قدموا عليه » وتفصيل ذلك أن الخليفة الثاني عيسى بن الخطاب

خرج الى الشام حتى اذا كان بجهة تسمى « سرغ » لقيه من أمراء  
أجناده أبو عبيدة بن الجراح ، وأصحابه ، فأخبروه بان الوباء  
وقع بالشام فذكر الحديث ثم جاءه عبد الرحمن بن عوف وكان  
متغياً لبعض حاجته فأعاد على عمر ذلك الحديث النبوى الكريم  
فحمد الله عمر ، ثم انصرف ، وهو حديث ثابت في الصحيحين .

من هذه الآية الكريمة ، ومن هذا الحديث الذى فسرها ،  
ومن هذا التصرف الذى تصرفه عمر بن الخطاب نستشف تقديرًا  
لفهم معنى الآية والحديث ، ونستخرج أكبر علة وأكبر عبرة .

ومن هذا يثبت بوضوح وجلاء ، أن نظرية الحجر الصحي ،  
أو العزل الصحي ، المعمول بها الآن في أرقى الدول ، وأرقى  
الأمم ، والتي تعتبر من تباينات أدمنعة رجال العصر الحديث ، إنما  
هي حكمة الهمة نزلت على نبى هذه الأمة منذ حوالي أربعة عشر  
قرنا من الزمان ، وقد عمل بها المسلمون في ذلك العصر أى أنهم  
طبقوها عملياً بموجب هذه القصة الصحيحة الثابتة التي رويناها ،  
وبموجب ذلك الحديث النبوى الصحيح الذى رويناها .

فأى فضل لهذا الكتاب الالهى على العالم ، لا على المسلمين  
حسب ، حيث اتفع بما جاء فيه من عظات وبما اشتمل عليه من  
أحكام أكثر الأمم الموجودة على وجه الأرض في القرون الخالية

والحاضرة ، فهل قدر الناس لهذا الكتاب المبين قدره ، وهل  
حفظوه في المهج ، ودسوه في شغاف القلوب واعتزوا به بين  
طيات الأرواح وأنزلوه من أنفسهم منزلة السمع والبصر .

لقد صدق أصدق القائلين ، في قوله « ما فرطنا في الكتاب  
من شيء » كما صدق أصدق القائلين في قوله « إن الله لذو فضل  
على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكون » .

## اعتزال النساء في المenses

« ويسألونك عن المenses قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء في المenses ولا تقربوهن حتى يطهرن » الآية .

هذه مسألة من الوجهة الأولى دينية ، فهي محرمة دينا ، ومن الوجهة الأخرى صحية ، فهي محرمة طبيا ، وليس الله منفعه تعود عليه اذا اعتزل الرجل نساءه في المenses أو لم يعتزل ، ولكن الواقع أن عامة الناس فضلا عن خاصتهم عرفوا مضره المenses وعرفوا أنه أذى فتجنبوه .

فأما من الوجهة الدينية فالإنسان المسلم الخالص العقيدة يسلم لتحريمها تسلیما مطلقا لأن الله سبحانه وتعالى أعلم بعباده وأعلم بما ينفعهم وبما يضرهم ، وهم على هذه العقيدة سلموا تسلیما مطلقا بكل أوامره ونواهيه ، ولكن حدث أن الطب في الإسلام وفي غير الإسلام عالج هذه المشكلة من ناحيته فاكتشف أن فيها من الفوائد ما لا يحصى ، وأثبت الأطباء أن مخالطة المرأة في المenses - أشغى مباشرتها - تؤدي بالرجل إلى الموت المحقق ، بما تسببه له من أمراض وبيئة وبيلة ، أمراض مؤلمة

معدنة ، وليس هذا الرأي مما يعززه الدليل فهو رأي الطب والأطباء في كل مكان وفي كل أمة ، وهو شيء شائع مسلم به من الجميع . وما على الذين يجادلون فيه إلا البحث والاستقصاء

بقي أن ننظر إلى الموضوع من ناحيته الدينية ، لنرى إلى أي حد من الشفقة والرحمة ، يسوقنا الدين ويحذب علينا .

فالموضوع كما قلنا ، لا يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى وهو لا يتعلق بالدين إلا من ناحية كونه أمر إلهي يجب له الطاعة والعمل .

أما من ناحيته الأخرى ، فهو موضوع إنساني جليل ، فيه وقاية كبرى لحياة الناس وأجسامهم من الأوجاع والآلام والأمراض فإذا تأملنا ذلك جد التأمل ، أمكننا أن تتأمل صورة مصغرة لمثال من رحمة الله بعباده ، وعطافه عليهم بما يرشدهم إليه في محكم كتابه العزيز من وسائل سعادتهم وهنائهم ، وما يدفع عنهم المكروه والشقاء ، ويجعلهم يعيشون في حياتهم سالمين معافين ، أو على الأقل متتجنبين الأسباب التي تبعث على شقاء الحياة وتکدير صفو هنائهما بالأمراض والعلل .

والواقع أن الكتاب المحكم مليء بكثير من الآيات البيانات التي تهدي الإنسان إلى سواء السبيل ، وتشعره بالحذب عليه من قبل الذات العلية الالهية ، وفي كل أمر من أوامره ، ونهى من نواهيه ، حكمة قد تستطيع أذهاننا أحياناً أن تفقه أوجه النفع

فيها ، وقد تكل أفهمنا في الكثرة الغالية ، وتضل عن فهم معناها  
السامي أو مرماها بعيد ، وليس ذلك ذنب الآيات التي لم تفهمها  
ولكنه من موجبات قصور الفهم الإنساني ومحدوديته ، وليس من  
لنا القاريء أن نستعير في هذا الباب معنى المتتبى الشاعر المشهور  
في قوله :

والنجم تستصغر الأ بصار رؤيتها  
والذنب للعين لا للنجم في الصغر

## النظافة في الإسلام

الوضوء خمس مرات في اليوم — الاغتسال كل يوم جمعة  
الاغتسال من الجناية عند كل وطء — تغيير الثياب .

لا نظن أن هناك ديانة من الديانات ، تحتم النظافة على معتقليها كما يحتمها الإسلام على معتقليه ، بل هو ذلك على التحقيق . ويكتفى في هذا الباب أن نذكر من غير أدلة ولا براهين شروط النظافة في الإسلام ، وهي كما يراها القاريء شروط أساسية لسلام المسلم ، لأنه لا يمكن أن يكون مسلم من غير صلاة ولا عبادة ولا اطاعة أوامر الله ورسوله . فالإسلام يلزم المسلم أن يؤدي خمس صلوات في اليوم والليلة ، من الفجر إلى العشاء . وفي هذا الوقت المحدود بطلوع الفجر وخلوص العشاء يتوضأ الإنسان خمس مرات غالباً ، غير ما هو ملزم به الإنسان في السنة من أن يكون دائم الوضوء بما قد يزيد عدد مرات الوضوء عن ذلك الرقم . وإذا أردت أن تعرف ما هو الوضوء ، فاعلم أنه نصف الاستحمام — إن صح هذا التعبير — لأنه عبارة عن غسل اليدين والمضمضة والاستنشاق بالبالغة لغير الصائم

وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس بالماء  
وغسل الاذنين وغسل الرجلين الى الكعبين ، علاوة على ما يتقدم  
الوضوء من سنة السواك أو غسل الاسنان جيدا .

تصور أيها القارئ نظافة هذا الدين الذي يلزم صاحبه الزاما  
بأن يؤدي هذه العملية التطهيرية خمس مرات في كل يوم ،  
وخبرني عن أي ديانة تفرض هذا على معتقليها .

وليس هذا فقط . فهناك غسل الجنابة ، وهو الاغتسال كلما  
وطأ الرجل زوجته أو احتلم وهذا ما قد يقع في كل يوم أحيانا  
أو مرتين في الأسبوع أو مرة واحدة على الأقل . فيغتسل الرجل  
جميعه ويتطهر من الجنابة التي هذه مواقيיתה عادة .

ولا تظن أن الأمر وقف عند هذا الحد ، فقد تقول : والأعزب  
ما شأنه والدين لم يحمله على الاغتسال ، والجواب أسرع إليك  
من لمح الطرف فان الدين لم يفرط في شيء ما ، فلا تس سنة  
الاغتسال يوم الجمعة فهي ليست خاصة بجنابة ولا بتطهير ، وإنما  
هي عملية من أعمال النظافة يشتراك فيها المتزوج والأعزب ، لأنها  
سنة الاغتسال يوم الجمعة وكفى .

فإذا أضفنا ذلك كله مجتمعا إلى بعضه ، وهو الوضوء خمس  
مرات كل يوم والاغتسال في كل يوم جمعة كما هي السنة  
والاغتسال من الجنابة كلما وقعت المباشرة أدركت ما قيمة النظافة  
في نظر هذا الدين الاسلامي القيم الحنيف .

لقد جاء في الآثر ما يأتى :

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجئه إليها لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل) ولهمما عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم) وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حق الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده) ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر فالسؤال أى غسل الأسنان بالسؤال سنة ولا بأس من غسلها بما يشبه مما يؤدي غرض نظافة الأسنان وتطهير الفم لوقايتها من الأمراض وتنظيفه .

وهنالك مسألة أخرى وهي مسألة تغيير الملابس المتسخة فقد يظن البعض أن الدين اغفلها ولم يقل فيها شيئاً . ولكن إليك **الحقيقة الصادعة** .

في سنن أبي داود عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر (ما على أحدكم لو اشتري ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبٍ مهنته) وعن عائشة

رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناسه  
يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب الشمار فقال ( ما على أحدكم ان  
وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوب بي مهنته ) والمفهوم أن  
المراد بذلك أن يغتسل الانسان في كل جمعة وأن يغير ما عليه  
من ملابس مهنته التي تكون قد اتسخت من طوال أيام الأسبوع  
هذا هو حكم الاسلام في النظافة . وهذا حظها منه فليسمع  
ذلك من يريد أن يسمع ، وليعلمه من يريد أن يعلم .

## نظام فطام الطفل في تعاليم القرآن

من أسرار الاعجاز القرآني الكريم ، وهو الاعجاز الذي يليدو واضحاً لذوي البصر والبصيرة ، تعرضه لمعالجه أدق شئون الحياة الخاصة للأفراد والاسر ، مما يزيد المؤمن ايماناً بأن هذا الكتاب منزل من لدن عزيز حكيم ، علیم باسرار خلقه وبصالحهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن تلك المسائل الدقيقة ، مسألة فطام الطفل الرضيع ، وهي في نظرنا مسألة هامة لأنها تتعلق بجملة أمور منها العناية بصحة الطفل لذاته الإنسانية ، ومنها العناية به بصفته عضواً في المجموعة البشرية من حيث المحافظة على نمائتها وازدهارها ، ومن وجهات أخرى يضيق النطاق عن شرحها بالتفصيل .

يقول القرآن الكريم « فان أرادا فصالاً عن تراضٍ منها وتشاور فلا جناح عليهما » .

والقاريء البسيط ، لا يفهم لأول وهلة معنى هذه الآية الحكيمة العظيمة ، فلننقل اليه تفسير المفسرين لها ليكون سريراً

الاهتداء الى ضالته فقد جاء في تفسير الشيخ ابن كثير لهذه الآية ما يأتي بنصه :

(أى فان اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ، ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك واجمعا عليه فلا جناح عليهم في ذلك ، فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكون ولا يجوز لواحد منهما أن يستبدل بذلك من غير مشاورة الآخر ، قاله الثوري وغيره وهذا فيه احتياط للطفل والزام للنظر في أمره وهو من رحمة الله يبعده حيث حجر على الوالدين في تربية طفليهما وارشدلهمما الى ما يصلحهما ويصلحه ) ٠

وجاء في تفسير البغوي مثل هذا التفسير وقال إن المشاورة هي استخراج الرأي (وتشاور) يعني مشاورة أهل العلم به حتى يخبرا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد ٠

وقد عنينا بنقل نص أقوال المفسرين المتقدمين ، نصا حرفيًا ، لثبت بالبرهان القاطع حكمة القرآن الكريم في هذه المسألة الاجتماعية الصحيحة الدقيقة ، وتعليقه أمر فطام هذا الطفل الصغير — والفطام بالنسبة له شيء فاصل في تاريخ حياته ، فقد يؤدي إلى السلامة وقد يؤدي إلى المرض فالموت — تقول علق القرآن أمر الفصل في هذه النقطة الحيوية الهامة في حياة الطفل على التراضي بين الوالدين والتراضي لا يكون إلا بعد تفكير وتقدير ، وبعد نظر ، والى المشاورة ، سواء مشاورة الوالدين فيما بينهما ،

أو مشاورة ذوى الرأى والخبرة كما ورد فى التفسير . وتنفيذ ما يستقر عليه الرأى الصائب فى هذا الموضوع :

وثمة ناحية دقيقة أخرى ، نحب أن نلمع اليها ، ونحب أن تدفع بها الذين يقولون أن الإسلام جعل المرأة المسلمة كمية مهملة لا رأى لها ولا قيمة ، نحب أن ندمغهم بهذا النص الصريح الذى علق أمر الفصل فى مسألة خطيرة هامة على شيتين ، أولهما التراضى فى قوله تعالى « عن تراضى منهما » ومفهوم أن التراضى أو الاتفاق على موضوع معين ، لا يتم الا بعد تفكير واجتهاد ، والشىء الثانى ، الذى علق عليه أمر الفصل فى هذا الموضوع الهام هو التشاور ، بين الوالدين أى بين المرأة والرجل ، والتشاور لا يكون الا بأعمال الرأى واجتهاد الفكر ، فالقرآن الكريم يصائب حكمته أبى أن يجعل الفصل فى هذه المسألة الخطيرة الهامة ، من حق واحد دون الآخر من والدى الطفل ، بل توسع أكثر من ذلك بضرورة المشاورة ، فقد يحتمل أن يكون التراضى متعلقا بذات شخصى الوالدين دون غيرهما ، ولكن معنى المشاورة يحتمل ادخال ذوى الرأى والخبرة فى الموضوع الخاص باستشارتهم حتى يقضيا ويقضى المشاوروون بما هو فى مصلحة الطفل ، كما يؤخذ ذلك من نص الآية ومن أقوال المفسرين التى أوردناها .

والقرآن لم يغفل بعد ذلك مسألة أخرى متصلة بهذا الموضوع فى آية أخرى ، وهى آية كريمة تبيح ارضاع الطفل من المرضعات

اذا تعسر لمن امه او ارادت فطامه طلبا للنسل أو لغير ذلك من الأسباب المشروعة وبين ما يجب نحو المرضعات من اعطائهن أجورهن ومعاملتهن بالمعروف وغير ذلك مما هو واجب في عنق الانسان وما هو في غير حاجة الى تعریف أو تنویه .

فليتأمل الانسان الحصيف ، روعة ما اشتمل عليه القرآن من الحكم النفيسة الثمينة وهو يقضى في مواضع لها خطورتها بالنسبة لحياة المجتمع الانساني وكيف قطع السبيل على كل فساد يخشى تسربه الى سياج الحياة الانسانية .



# الباب الرابع في الآداب العامة

- ١ — آداب الاستئذان قبل دخول البيوت .
- ٢ — آداب الاستئذان في الأسرة .
- ٣ — آداب المجالس العامة .



## آداب الاستئذان في دخول البيوت وآداب التحية

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسو وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون »  
فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكي لكم والله بما تعملون علیم » .  
يقول المفسرون في تفسير هذه الآية ما يأتي :

( هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان . أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا أى يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده . وينبغي أن يستأذن ثلاثة مرات فإن اذن له والا انصرف ) .

وظاهر الآية واضح الدلالة على المعنى الذي ترمي إليه ، وهو النهي عن الدخول إلى البيوت من غير استئذان ، وقد أشبع المفسرون من السلف الصالح هذا التفسير بحثاً ، فقالوا أن المراد منه هو وضع آداب دقيقة عالية لنظام الاستئذان فقد ورد في

الأحاديث وأقوال الثقة من الآئمة أن الرجل لا يجوز له أن يدخل بيته غير بيته الا بعد أن يستأذن أهله في الدخول فان أذن له بدأهم بالسلام قبل كل شيء أى قبل الكلام . و من آداب الاستئذان كما ورد في الأحاديث انه نهى أن يطرق الرجل أهله طروداً وفي رواية ليلة يتخونهم ، يعني لا يتهم حتى على أهل بيته لثلا يلقاهم على حالة يكره أن يراهم فيها أو يكرهون أن يكونوا عليها ، وكذلك وجوب الاستئذان في الدخول على الأمهات والأخوات لثلا يكن في عورة ساعة الدخول ) .

ولقد قيد الله عباده بهذه الآداب الأخلاقية لأن في اتباعها الوصول إلى السعادة التامة وتجنب كل سبيل شائق من سبل المضرات الاجتماعية المؤذية التي قد تؤذن والعياذ بالله بالدمار وخراب البيوت وتقويض الاسر والعائلات ، فالمعروف عقلاً أن الرجل في خلوته والمرأة في خلوتها قد ينجحان إلى ما تقضيه هذه الخلوة من الاستراحة المطلقة فإذا بوجت أحدهما وهو على هذه الحالة بغير متهجم قد تقع من الحوادث ما لا تحمد عقباها علاوة على ما في ذلك من المنافاة للآدب والأخلاق .

فالقرآن الكريم قد حل هذه المعضلة حلاً عادلاً كريماً بما أمر به من الاستئذان ، حيث دفع به مضره وحقق منفعة : فليتدبر المفكرون هذه الآراء الحكيمية السديدة ، فنعتنا الله بتفهمها والعمل بها .

## آداب الاستئذان في الأسرة

مثال من الأدب الرفيع

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

« يا أيها الذين آمنوا لیستأذنکم الذين ملکت أيمانکم والذين لم يبلغوا الحلم منکم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابکم من الظہیرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، ليس عليکم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليکم بعضکم على بعض كذلك يبین الله لكم الآيات والله علیم حکیم ، واذا بلغ الأطفال منکم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبین الله لكم آیاته والله علیم حکیم » ٠

اشتملت هذه الآية على معانٍ رفيعة في الأدب الاجتماعي والأخلاق العالية ، لم تصل إليه أرقى الأدمعة المفكرة في هذه العصور ، ولا عجب في ذلك فهذا كلام الخالق فأنی يصل اليه كلام المخلوق ، والحكم التي تضمنها حكم موحى بها من لدن علیم خیر ، لا من تفكير أشخاص أو عمل مخلوقين ٠

لقد أوحى التفكير إلى بعض الذين زعموا أن عقولهم بلغت أقصى مراحل النضوج والذكاء ، أن يصنعوا شيئاً من مثل هذا النظام الأدبي في مجتمعاتهم ، ولكنهم اخفقوا كل الاحتفاق في

الوصول من ورائه الى نتيجة حكيمه كهذه التي أشار بها القرآن، ولو اختروا على أنفسهم السبيل ، وعملوا بمعنى الآية لكتفوا أنفسهم مؤونة الجد والاجتهد في غير طائل فكثير من الناس يضعون لأنفسهم في أعمالهم ومكاتبهم ، أو في بيوتهم ومساكنهم أنظمة للاستئذان ، وذلك جميل في ذاته اذ أنه يحمل معنى من معانى الأدب والأخلاق ، ولكن عدم التقيد في حالة بهذه بنظام اجتماعي دقيق كالذى أشار اليه القرآن لا يفضى الى النتيجة المطلوبة المنشودة .

يقول المفسرون في صدق هذه الآية الحكيمه ما يأتي :

« هذه الآيات الكريمه اشتغلت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض ، فأمر الله عباده أن يستأذنهم خدامهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال ، (الأولى) من قبل صلاة الغداة لأن الناس اذ ذاك يكونون نياما في فراشهم (والثانية) حين تضعون ثيابكم من الظهرة ، أى في وقت القيلولة لأن الإنسان في تلك الحالة قد يضع ثيابه مع أهله (والثالثة) ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت النوم الطبيعي فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال لما يخشى أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الحالات الخاصة ، ولهذا قال « ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن » أى اذا دخلوا في غير هذه الأحوال لأنه قد أذن لهم في الدخول ولأنهم طوافون عليكم في الخدمة وغير ذلك ،

ويقتصر في الطوافين مالا ينكر في غيرهم ولهذا روى الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المرة « إنها ليست بتجسدة إنما من الطوافين عليكم والطوافات » .

وظاهر الآية ، وظاهر التفسير واضح الدلاله على أن المقصود منها هو مراعاة الآداب الشخصية في منزل الرجل وبين أسرته ، أي فيما يخصه بشخصه وفيما يخصه في أسرته حيث أمر الله سبحانه وتعالى بالاستئذان في الحالات التي هي مظنة العورات وهي حالات واقعة تمام الواقع فمن ذا الذي ينكر أن الإنسان حين يكون في فراشه قبل صلاة الفجر ، وحين يخلع ثيابه في الظهرة للقيولة ، وحين يستعد للنوم بعد العشاء ، إنما يكون عورة من العورات ، وموضع ستر واستئذان .

لقد جاءت هذه الآية الكريمة بأرفع مثل لنظام الاستئذان مع ايراد ملاحظة دقيقة وهي أن هذا الأذن جعل على الذين لم يصلوا الحلم من هم في معيته الرجل من أسرته وعلى خدمه الذين هم طوافون عليه ، أما الأجانب عنه ، فلهم حكم آخر غير هذا الحكم أي أن هذا الاستئذان خاص بخدمه ومن هم في معولته ومن هم معه في بيته .

## آداب المجالس العامة

الامر بالتفسح بين الجلوس

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسُحُوا يَنْسُحُ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اشْرُذُوا فَانْشُرُوا ، يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ » ٠

قال المفسرون في سبب نزول هذه الآية الحكيمه أنها نزلت في يوم جمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فرد عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم ، فشق ذلك على الرسول فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر ،

قم يا فلان واقت يا فلان فلم ينزل يقيم بعده النفر الذين هم قيام  
بين يديه من المهاجرين والانصار أهل بدر ، فشق ذلك على من  
أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم السكرامة في  
وجوههم فقال ( رحم الله رجالاً يفسح لأخيه ) فجعلوا يقموه  
بعد ذلك سرعاً فيفسح القوم لأخوانهم .

قول : وهذا الذي ذكره القرآن الكريم وشرع فيه إنما هو  
سر من أسرار المجتمعات العامة وما يقع فيها ، وكلنا نعلم أن كثيراً  
ما تكون جماعات منا في حضرة رجل عظيم أو شخصية فذة ،  
فيدخل عليها جماعات أخرى فتضمن الأولى بمسكانها وتستأثر بما  
كانت فيه من الغبطة بقرب ذلك العظيم والدنو من مجلسه وتمتلك  
الإنسانية نفوسهم فيعودون أن لو لم يكن أحد من الناس  
دخل عليهم فعكر على ذلك الاجتماع ، صفووا ما كانوا يحبون  
الاسترسال فيه من هناء واستمتاع .

وهذه عادة من عادات النفوس الكامنة في غرائزها ، وهي  
مشاهدة ملحوظة ، والقرآن الكريم حين يقضى فيها بأدب حكيم  
كهذا ، إنما يقضى في مشكلة من المشاكل الاجتماعية التي تختلف  
في نفوس الناس البعضاء والتنافس ، كما أن القصة التي ذكرناها  
في سبب نزول الآية ، تمثل ذلك الواقع أبلغ تمثيل ، وتمثل

فضل هذا الرأى الذى سرعان ما أزال من تقوس القوم ما اضطروا  
النبي الكريم الى اتخاذه من اجراء سريع يستدفع به حرج  
الموقف بين الجالسين عنده والقادمين عليهم ٠

فلو اتبع الناس هذا السنن القويم ، والرأى الحكيم ، لقضوا  
من تلقاء أنفسهم على عادة من أسوأ العادات ولأراحوا ضمائرهم  
من عناء التساحن والبغضاء فى أمور بين القرآن لهم سبل الراحة  
فيها ٠ فليفقه ذلك من يريد أن يفقهه ومن فتح الله على سمعه  
وبصره ٠

الباب الخامس  
في الشؤون الخيرية والإنسانية

- ١ — أنواع البر وشعب الاحسان •
- ٢ — بر الوالدين وطاعتهم •
- ٣ — الاحسان الى اليتيم والمسكين والاسير •



## أنواع البر وتنظيم الاحسان

القرآن الكريم يدلنا على شعب البر بأنواعه  
«وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حِبَّهِ ، ذُوِي الْقُرْبَى ، وَالْيَتَامَى ، وَالْمَسَاكِينَ ،  
وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَالسَّائِلِينَ ، وَفِي الرِّقَابِ » .

اجتهد المفكرون في كل أمة ، في تنظيم سبل الاحسان ،  
وتحديث شعب البر ، وقد تضارب اجتهادهم في هذا الصدد  
وتفاوتت سبلهم، بحيث أصاب بعضهم أهداف هذا الغرض الانساني  
الجليل ، وأخطأه كثيرون ، بل أخطأته الكثرة الساحقة منهم ، وقد  
وردت في القرآن الكريم آيات لا تحصى في هذا الموضوع  
العظيم الخطير علاوة على ما فرضه الله تعالى من حق للفقراء على  
الأغنياء حقاً منظماً صريحاً بaitاء الزكاة .

وهذه الآية التي تنظم الاحسان ، وتبيّن شعب البر، هي آية  
واضحة بعيدة المغزى ، تقول :

« لِيْسَ الْبَرُ أَنْ تُولِوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ  
الْبَرَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَأَتَى

المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل  
والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون  
بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى اليساء والضراء وحين اليسء ،  
أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » ٠

هذا هو نص الآية الكريمة ، أثبتناه ليتصور منه القارئ ،  
ال الكريم طائفة كبيرة من وجوه البر وشعب الاحسان ومنهاج  
مكارم الأخلاق والاستعانة على أمور الدنيا والحضور على اتباع  
السبل المؤدية لسعادة الانسان ٠

وابرز ما يتجلب فى هذا النص الحكيم ، هو الترغيب فى  
مزيد المعونة من قبل المقتدرین على المحتاجين ، ولكن بأيهم تبدأ  
ان وجوه البر كغيرها من الشؤون الأخرى ، متعددة المسالك ،  
متشعبة الطرق ولا شك أن التوفيق الى تنظيمها ، توفيق الى  
اصابة الهدف المقصود الذى يصبب الفائدۃ المرجوة وتحقيق  
الغاية المتوجة ، والعكس بالعكس ٠

وقد بینت هذه الآية سبل تنظيم الاحسان بيانا واضحا شافيا  
في بدأت بذوى القربى ، وهذا رأى لا يحتاج صوابه الى تدليل ،  
والاقوال والأمثلة في ذلك كثيرة لا تحصى ، ثم اليتامى وهم أحق  
الناس بالرعاية والاحسان بعد ذوى القربى ، ثم المساكين ٠ وهنا  
يجدر بنا أن نقف لحظة امام تفسير هذه الكلمة لنر الى الغرض  
الشريف المقصود منها ، فقد اختلفت أقوال المفسرين فيها ، فقال

بعضهم أن المساكين هم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وسكناتهم وكسوتهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم . وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس المسكين بهذا الطواف ، الذي ترده التمرة والتمر تاد واللقة واللقطان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنا يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » .

ذلك بآن الناس ، تواضعوا في اصطلاحهم ، على اعتبار المسكين كل فقير سائل يحتاج إلى الصدقة والاحسان ، ونسوا وراءهم من هو أجرد بمعونة المسلمين وحسنة المحسنين من أولئك الذين وصفهم القرآن الكريم أبلغ وصف وأسماء ، في قوله تعالى « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعسف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا » وهم الذين وصفهم هذا الحديث النبوى الكريم بأنهم « الذي لا يجد غنيا يغنيه ، ولا يفطن إليه . فيتصدق عليه » .

فالقرآن الكريم ، أوضح في أجلى بيان . درجات الاحسان والمستحقين له ، بصورة تكفل السعادة لجميع طبقات البشر . وتكفل للمحسن اصابة الهدف الذي قصد إليه بتوصيل احسانه إلى مستحقيه على حسب درجة عوزهم ، وترتيب حاجتهم إلى الاحسان .

أما الصنف العادى من المساكين والشحاذين المعروفين في كل جهة وكل مكان ، فأولئك هم الذين عنتهم الآية الكريمة بالسائلين

فقد قال المفسرون ان السائلين هم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكاة والصدقات . « وابن السبيل » جاء في التفسير أن المقصود به المسافر العتاز الذي فرغت نفقة فيعطي ما يوصله إلى بلده والذي يريد سفرا في طاعة فيعطي ما يوصله إلى بلده ، والمعنى في جملته يدل على فريق من الناس يكون منقطعا عن أهله أو بلده كالغريب وما إلى ذلك وهذه شفقة من الله على عباده ورحمة به من المستضعفين منهم ، الذين يكونون في حاجة إلى الاحسان أيا كان وفي آية صورة من صوره .

( وفي الرقاب ) قال المفسرون أنهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم ، وقال بعضهم أنه يدخل في هذا المعنى عتق النسمة وفك الرقبة وفاء الاسارى وما هو من هذا القبيل .

والخلاصة أن هذه الآية الجامدة من القرآن ، اشتغلت كما قلنا على أبلغ مثال في تنظيم الاحسان وتوجيه شعب البر إلى ما هو جدير منها بالاقبال والاحسان ، كما اشتغلت على أبلغ مثل في مكارم الأخلاق حيث جاء فيها « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في اليساء والضراء وحين البأس وقد مدح الله سبحانه وتعالى المتصفين بهذه الصفات فقال جل شأنه « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

## بر الوالدين

طفت على أخلاق هذا العصر ، موجة قوية من الفجور جعلت بعض الأبناء ينظرون إلى آبائهم وأمهاتهم نظرات الاحتقار والازدراز ، بل تعدى الأمر ذلك الحد إلى حد أبعد منه امعاناً في سوء الخلق والعياذ بالله ، بحيث يقع التعدي من كثير من الأبناء العاقلين على والديهم ، وهذا التعدي يكون أحياناً بالسباب البذىء وأحياناً أخرى بالضرب ، والضرب المؤلم الموجع ، وأحياناً ثلاثة يكون بالاعتداء الدموي كالقتل ومحاولته وما أشبه ذلك ، نعوذ بالله منه كل العياذ .

لا تكاد الإنسانية في أبشع مظاهر همجيتها ، تتصور أن مولوداً يضرب والديه ، ولا نعتقد أن الإنسانية في أبشع مظاهر همجيتها ، تبيح لمولود ، كائناً ما كان ، ومهما أدت الأسباب ، أن يعتدى على والديه اللذين ولداه بالشتم والضرب ، فما بالك بالقتل وأسالة الدماء .

فاستمع رعائكم الله إلى ما يقوله القرآن الكريم ، في هذا المعنى من الآيات الصريرة البينة ، وقبل أن نورد شيئاً منها نذكر

اننا لا يمكننا أن نحصى جميع الآيات التي وردت في الحض على  
بر الوالدين والنهي عن الامساة اليها بأبسط صور الامساة .

قال الله تعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احساناً اما يبلغن  
عندك الكبر أحدهما أو كلامهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما  
وقل لهم قولاً كريماً ، وانخفض لهم جناح الذل من الرحمة وقل  
رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

ونظن أن القارئ الحصيف يدرك قبل كل شيء كون أن الله  
تعالى قرن بر الوالدين بافراده بالعبادة ، هذه نقطة هامة خطيرة  
في تبيين أهمية بر الوالدين وقيمتها المعنوية كقوله تعالى في آية  
أخرى « ان اشكر لى ولوالديك الى المصير » وتنقل بالقارئ  
بعد هذه النقطة الى ما يليها وهو الأمر بالاحسان الى الوالدين  
بحيث ترتبت على ذلك شرعية الاحسان اليهما ووجوبه اما يبلغن  
عندك الكبر ، وبعد ذلك يأتي الأمر بأن لا تقل لهم أف ولا تنهرهما  
وقل لهم قولاً كريماً ، ونظن أن التألف هو أبسط معانى الامساة  
وقد نهى الانسان عن أن يوجه الى والديه أبسط معانى الامساة  
التي هي التألف وأمر أن يقول لهم قولاً كريماً أى لينا طيباً  
حسناً بتأدب وتوقيف عظيم كما ورد في التفسير .

يظن بعض الأبناء العاقين أن الوالدين حين يكبران وتتقدم بهما السن يجب أن يصدعا بأمر مولودهما العاقل الرزين ويجب أن يكونا مخريفين في نظره وأن يكون العقل وسلامة التفكير له وحده ، وفي هذا الكثير من الجهل والغباء وسوء الادراك وقد حل القرآن الكريم هذه المشكلة العائلية الاجتماعية بهذا الحل الشريف الذي لو اتبעה الناس في مغداهم ومراحهم لاستراحوا ولكن هيهات فما يتبصر إلا أولو الألباب .

## الاحسان الى اليتيم والمسكين والاسير

قال الله في كتابه الكريم :

« ويطعمون الطعام على جبه مسكيناً ويتيناً وأسيراً » .

تقدّم الكلام على وجوب الصدقات والزكاة وسائر شعب البر والاحسان ، ولكن القرآن الكريم أفاض في التبيّه إلى هذا الموضوع افاضة عميقية تدل على قيمة المجتمع الانساني ومقدار فائدته منها .

وقال المفسرون ان الضمير يرجع في جبه إلى الله تعالى أي في حب الله سبحانه . لدلالة السياق عليه وقالوا ان الضمير عائد إلى الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم له وشهوتهم إليه ، كقوله تعالى « وآتى المال على جبه » وقوله « ان تناولوا البر حتى تنفقوا » .

وروى البيهقي عن نافع ، قال : مرض ابن عمر فاشتهر عنـها أول ما جاء العنـب فأرسلت امرأته فاشترت عنـقاودا بدرهم فاتبع الرسول سائلـ فلما دخل به قال السـائلـ : السـائلـ . فقال ابن عمر

اعطوه اياه . فأرسلت فاشترت بدرهم آخر فأتبع الرسول السائل  
فلما دخل به قال : السائل فقال اعطوه اياه فاعطوه اياه . فأرسلت  
زوجته الى السائل فقالت : ان عدت لاتصيّب منه خيراً أبداً ثم  
أرسلت بدرهم آخر فاشترت به .

قال « ويطعمون الطعام على جبه مسكيناً ويتيمها وأسيراً »  
فاما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن  
جيير والحسن والضحاك ، أنه الأسير من أهل القبلة . وقال ابن  
عباس كان اسراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الاسارى  
فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند العشاء وقال عكرمة هم العبيد  
واختاره ابن جرير لعموم الآية للMuslim والمشرك وهكذا قال سعيد  
ابن جيير وعطاء والحسن وقتادة . وقد وصى النبي صلى الله عليه  
 وسلم بالاحسان الى الارقاء في غير ما حديث حتى أنه آخر  
 ما أوصى به أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت ايسانكم » .

وخلاصة الآية وما ورد من الأحاديث النبوية في معناها ،  
تبين فضل الاحسان الى المسكين واليتيم والأسير وقد تقدم  
الكلام في شعب البر على من يجب عليهم الاحسان من المساكين  
والسائلين وأبناء السبيل والآيتام ولكن هذه الآية زاد فيها  
الاحسان الى الأسير ، وهو صنف من الناس ، تعوزه الرحمة  
والشفقة والاحسان لأنه في ذل الأسر ومحنته ، ومسكتة الذل  
وفاقته ، فانظر الى القرآن الكريم كيف حافظ على كل ما يشتمل  
على سعادة الانسان ورفاهية الانسانية في كل ناحية من النواحي



# الباب السادس في فنون الحرب والقتال

- ١ — منع الاعتداء في القتال .
- ٢ — مبادئ الاسلام في السلم وال الحرب .
- ٣ — درس في السياسة من القرآن .



## منع الاعتداء في القتال

### أوامر الهمة صريحة من نص القرآن

تقنن علماء الغرب ، في ايجاد شتى وسائل السعادة لبني الانسان وهذه مخترعاتهم العلمية المفيدة تنطق بذلك وهى ليست مجهولة بحاجة الى تعريف ، ويكتفى أن نذكر على سبيل المثال ما اخترع من أنواع المواصلات ، في البر والبحر والجو ، ومن وسائل الاتصال البرق اللاسلكى والهوائي الذى يطوى المسافات الشاسعة فى سرعة الضوء أو بتعبير آخر ، فى لمح البصر .

أجل تقنن علماء الانسانية فى كل هذه الخيرات وأكثر منها ، لصالح الانسانية ولخدمتها ولسعادتها فهم حقيقيون بكل تقدير ، جديرون بكل ثناء .

ولكن مهلا رويدا .

أجل مهلا رويدا فانه شكر ممزوج بالألم وثناء تغمره الحسرة والأنين .

أعنى سمعك أيها القارىء عافاك الله وكتب لك السلامه ، ولا تغفل عما سأله عليه عليك ، ولا تقل بيك الى ميادين القتال

الأوربية فأشهدك فيها ، ما تصطلك له أسنانك من الرعب ، وتر تعد  
له فرائصك من الاشغال ، أشهدك الإنسانية البريئة كيف تصرع ،  
أشهدك الأمومة كيف تفجع ، ولا عليك بعد ذلك من دعوى العلم  
والعلماء من العمل لخير الإنسانية وسعادتها : أشهدك ما ينسيك  
برفاهية المدنية ، ويبطل أمامك حجة دعواها ، بحيث أحملك على  
التصديق بأن هذه المخترعات وقد كسرت عن أننيابها إنما تجلت  
عن أصل طبيعتها ، وطبيعة العمل الذي اخترعت من أجله ، وهو  
مجرد الدمار والخراب ، والإيذاء والتكميل . ولنك أن تتصور  
قسوة العواطف التي تلقى بالمهلكات الجهنمية والعياذ بالله ، على  
أطفال رضع ، أو شيوخ هجع ، على زوجات وأمهات وبين وبنات ،  
وأخوان وآباء ، وأهل وأصدقاء ، فجأة وبغتة ، بغير ذنب البتة  
سوى ورود هذه الضحايا على طريق أولئك الظالمين ، عفوا ، كما  
تردد أسماء الأعلام في طريق القوافي . فاذا سالت ما هذا . قيل  
ذلك هي المدنية في أ nobel معانيها ، تزيد تمدين هذا الشعب ، أو  
ترقيه تلك الأمة ، ورحمة الله على المنطق رحمة واسعة حيث دفن  
في رمسه ، وقبر في جدته .

هذا الموجز المختصر ، هو الذي يقع بين أسناننا وأبصارنا  
بين كل يوم وآخر ، خصوصا في الأوقات التي نشطت فيها  
الحروب بين الأمم القوية والضعيفة ، وما تواردت به مختلف  
الأنباء الرسمية عن أعداد الضحايا من الرعايا الأربعين الآمنين .

لقد أسمعتك أيها القارئ ، دعوى المدينة في هذا الموقف بل  
أشهدتك حقيقتها الملموسة بما لا سبيل معه الى النكران ، ومهـ  
لا حاجة به الى الدليل ، فتفضـل غير مأمور وعد معـى لأسمعـكـ  
رأـى الـاسـلامـ فـيـ هـذـهـ النـقـطـةـ الحـسـاسـةـ المـتـوـقـدـةـ ،ـ وـأـشـهـدـكـ منـ  
الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ أـبـلـغـ مـثـلـ وـأـعـلـاهـ ،ـ وـلـكـ أـنـ تـفـاضـلـ بـعـدـ ذـلـكـ يـبـنـ  
المـدـنـيـةـ الدـامـيـةـ ،ـ وـالـجـهـالـةـ الـوـادـعـةـ ،ـ وـتـخـيرـ لـنـفـسـكـ أـنـبـلـ الـخـطـيـنـ ،ـ  
وـأـقـوـمـ السـبـيلـيـنـ •

ويقول القرآن الكريم :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله  
لا يحب المعتمدين » •

وليس من غرضنا أن نفسر الأمر بالقتال في أول الآية ، وإنما  
الذى عنانا فى موضوعنا ، هو الشطر الثانى منها ، وقوله تعالى  
صراحة وبصيغة النهى الواضح « ولا تعتدوا ان الله لا يحب  
المعتمدين » وإن كان هذا لا يمنع من أن نذكر على سبيل الفائدة ،  
أن أقوال المفسرين اختلفت فى شرح هذه الآية حيث قال بعضهم  
بأنها أول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم فى القتال  
بالمدينة فلما نزلت كان الرسول يقاتل من قاتله ويكتفى عمن كفـ  
عنه ، حتى نزلت سورة براءة فنسخت هذه الآية بأية أخرى هي  
« فاقتلو المشركين حيث وجدتموهـمـ » وقال بعض المفسرين إنـ  
المراد في قوله « الذين يقاتلونكم » إنما هو تهيج واغراء بالاعـداـءـ  
وقد تواردت الآيات الكثيرة في هذا المعنى •

وأرجح إلى ما نحن بصدده في تفسير قوله تعالى « ولا تعتدوا  
أن الله لا يحب المعتدين » فنقول أن المعنى ظاهر أو واضح من  
النهي عن الاعتداء في أول الآية ثم زيادة التبعيض فيه بقوله انه  
لا يحب المعتدين ، وقد زادت الأحاديث النبوية في تفسير هذا  
المعنى وتكريره الاعتداء فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله :

( اغزوا في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تنعوا  
ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع )  
رواه الإمام أحمد ومن هذه المناهى ما ذكره الحسن البصري من  
المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي  
لهم ولا قتال فيهم ، والرهاق وأصحاب الصوامع وتحريق  
الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة .

يستخلص من نص الآية الكريمة ، وهو نص واضح كما  
ذكرنا ، ويستخلص من نص الأحاديث النبوية الواردة في هذا  
المعنى ، ومن أقوال الشراح والمفسرين ، يستخلص من ذلك كله  
الاجماع على استئثار الاعتداء في الحروب وليس بعد كلام الله  
تعالى مجال للقول ولا محل للاستشهاد .

نسوق هذا الحديث إلى أنصار الإنسانية الذين وقعا  
أدمغتهم على اسعادها ، وحسبوا تفكيرهم على هنائها ، ولننظر  
بعد ذلك إلى أي منقلب ينقلبون ..

## مبادئ الإسلام في السلم وال الحرب

في مساجلة بين كاتبين : مسيحي و مسلم

وفيما نحن بسبيل تأليف هذا الكتاب ، عثرنا على المقالين الآتيين أحدهما كتبه كاتب مسيحي في مجلة الرسالة الغراء ، والآخر كتبه أديب مسلم في عدد آخر من تلك المجلة ، يساجل به زميله الأول ، وكلاهما يرمي إلى فكرة متحدة ، ونظريه مشتركة هي تمجيد آداب الإسلام و تعاليمه والإشارة إلى انه دين سلم لا دين حرب ، وأنه غزا العالم بتعاليمه وآدابه قبل أن يغزوهم بسيفه ، وأنه لم ينتص الحسام إلا مضطراً بعد أن أعجز في السلم وأبلى في المواجهة .

وقد رأينا أن موضوع المقالين له مساس بأى مساس بموضوع كتابنا لاتحاد الغاية واشتراك الفكرة فلم نر بدا من اشراك القراء في تلك الثمرة العقلية الموققة التي تزيدنا تأييداً فيما نحن بصدده من تمجيد كتاب الله الحكيم و دينه القوي .

## المقال الاول

« .. أنا لست مسلما ولكن ذلك لا يمنعني من أن أقول في الاسلام الحق . ولقد دفعني إلى هذا ما شاع بيننا نحن المسيحيين — عن طريق المبشرين وانكشارية الدين الماجورين — من أن الاسلام دين كاذب قام على السيف .  
وأصارحك أنني كنت على هذا الرأي حتى تبعته إلى فضائل الاسلام .

طريق الرسالة الغراء ، ثم عن طريق القرآن الشريف . لذلك آللت على نفسي أن أعوض عن عدم اسلامي بنشر الاسلام بقلمي هولساني » .

خليل جمعة الطوال

« الاسلام دين ببرى قام بقوة السيف »  
« فولتير والخصوم »

بهذه الحجة الواهية ينال على الاسلام خصومه ليشوهوها جماله ، وينالوا من روحه الكبرى ، وينتقصوا من تعاليمه السامية وبهذه الحجة أيضا يتذرع أهل الجمالة والزيغ ، اذ يصمون

صاحب الرسالة العربية بالكذب والشعر والكهانة ، ويدعوه  
مؤسس ديانة ببرية كاذبة تناهى مبادئها روح الحضارة ،  
تعاليمها حائل دون تقدم المدينة . ولو أنهم خلوا الى أنفسهم ،  
ونفروا عنها غبار التغub ، ودرسو تعاليم الاسلام ، وتدبروا  
آياته في هدأة من أغراضهم الذاتية ، لانجابت عن بصائرهم  
سفه الأرجاف ، ولا نجلى عن قلوبهم خبث الصدور وصداً  
الباطل .

يزعمون أن الاسلام قام بقوة السيف .. ويتمسكون بهذا  
الازعم على أنه حقيقة واقعة لا غبار عليها .. ولكن فاتهم أن القوة  
التي أعزت الاسلام في بدر ، والقادسية واليرموك ، والتي غزا  
بها المسلمون — على قلة عددهم وضعف عدتهم وعتادهم —  
العالم ، وأمعنوا في جهاته الأربع بالفتح والاستعمار ، حتى  
وسعوا امبراطوريتهم ثلاثي الكورة الارضية — لم تكن الا قوة  
ایمانهم بعقيدتهم الجديدة ، عقيدة التوحيد بالله وعدم الشرك  
به ، تلك العقيدة استمرأوا في سبيلها النكبات ، وتجشموا  
الأخطار وال المصائب ، فيما لانت قناتهم ، ولا خفت شوكتهم  
ولا هانت قوتهم ولئن قام الاسلام ببضعة أسياف ونفر من الرجال  
لقد قاومه أعداؤه المشركون بآلاف الصوارم ، وكتائب الأبطال ..  
وما انتصاره عليهم الا انتصار الحق على الباطل ، وما هزيمتهم  
الا هزيمة القوة المادية أمام قوة الایمان الروحية ..

تبارك الله .. رجل يقوم ضد أمة ، فكأنه بقوة ايمانه — وهي كل فخريته — أمة بأسرها .. فيغلبها حيناً وتعالبها أحياً ، ثم ينصر الله عبده ، ويعز كلمته ، فإذا القوم يسأرعنون فرادى وجماعات ليستظلوا تحت راية حقه ، وليسترثدوا بنوره ، ويهددوا بهدايته ، وإذا محمد رسول الله ، ورجل الحق ، وعدوا الكفر يقف فيهم خطيباً عند باب البيت ليعلن فيهم مبدأ الأخاء والحرية والمساواة ، فيقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

الا كل مأثرة أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين الا سدنة البيت وسقاية الحاج .. يا عشر قريش .. ان الله قد أذهب عنكم لخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء .. الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب .. يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأشي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعرفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ..

تلك هي مبادئ الاسلام السامية التي اهتزت لها أصنام الوثنية وهيأكلها ، بل تلك هي عدة المسلمين التي فتحوا بها العالم والتي لم تفن عنها « يوم بدر جيوشهم اللجنة الجرارة وأسلحتهم الوفيرة المدمرة بمثل هذه المبادى قام الاسلام يرشد الناس بنور الهدایة وحسن الموعظة ولم يلتجأ الى السيف الا دفاعاً عن حوزته ، واشفاها على رسالته ، من اي تصريح مضيعة استخفاف يلوكيها أهل الكفر واللحاد مدى العمر .. وان شريعة سماوية جديدة قامت ولهم يؤيدتها السيف في انتشارها .. أهى اليهودية وقد كانت تأمر

برجم كل خارج على الناموس . . . ألم هي المسيحية وما زالت  
محاكم التفتيش بأقبائها المروعة المظلمة يتrepid صداتها في الآذان  
وترتعد من فظائعها الأبدان . ولم نذهب بعيدا في الاستدلال  
وال تاريخ مفعتم يذكر الكثيرين من ضحايا المسيحية — أو قل على  
الاصح انكشارية المسيحية — ومجازرها . وحسبك منها مجزرة  
القديس ( سان بوليو ) التي قتل فيها ٢٥٠٠٠ نفس ومجزرة  
شارلمان بقبائل السكسون التي سالت فيها الدماء البريئة أنهارا ،  
وما ارتكبته جيوش فيليب الثاني ملك أسبانيا وحامى ذمار  
الكاثوليكية في هولندا من الفظائع وضروب التمثيل التي تهتز  
لهولها الرواسى ، وتشيب لنظرها النواصى . وما فعله الامبراطور  
فرديناند الثاني وهو من أسرة هابسبورج حين حاول أن يستأصل  
شأفة البروتستانية في المانيا ، فأرسلها إليها جيوشه اللجبة ، التي  
أخذت تعمل السيف في الرقاب والعباد ، والنهب في البلاد ،  
واختل الأمن ، فأبيحت الأعراض ، وأزهقت النفوس البريئة ،  
وخراب خمسة أسداس المدن والقرى الالمانية ، وتناقص عدد  
السكان فيها ، حتى صار أربعة ملايين بعد أن كان ثمانية عشر  
مليونا .

ولم نذهب بعيدا وفي الأمس تراجع البابا تلك الذكريات  
المؤلمة ، فيذكر ويتحب لها ، لأن أهل رومية قد أقاموا ( ابرونو  
الإيطالي ) الذي أحرقه محاكم التفتيش بالقار والقطران ، في

حفل رائع من رجال الاكليروس ، تمثلا عظيميا في المكان الذي  
أحرق فيه ضحية لترمت العصر ، وكفارة عن حرية الفكر .

ولم تسكن البروتستنطية على حداهه عهدها لتختلف عن  
الكاثوليكية بشيء من حيث تفتيش الضماير ومخبات الصدور ،  
واضطهاد أبطال الحرية الفكرية بالسجن حينا وبالحرق أحيانا ،  
قتلك النيران المخيفة التي التهمت جثة ( سرفيتوس الاسباني )  
ما يزال مشهدها ماثلا أمام عيني كلفن وهو في جدثه ، وما تزال  
تلك الذكرى تتناثر جثته الهمادة ورمته البالية .

لقد اضطهدت المسيحية على اختلاف مذاهبها خلقا كثيرا من  
ذوى الحرية الفكرية على حين كان الاسلام على درجة بعيدة من  
التسامح ولنا من أبي العلاء المعري أكبر دليل على ذلك ، فقد  
شك هذا الفيلسوف العظيم في جميع الأديان ، واتهم بالكفر  
والإلحاد ، ومع كل ذلك فقد عاش آمنا مطمئنا على حياته ، ولم  
ينله من الحكومات الاسلامية أدنى أذى مع أنه قد تمادي في كفره  
وشكه لدرجة تكفي للحكم عليه بالقتل والحرق .

ومن الحق هنا أن نسجل أن جميع الديانات حتى الوثنية  
منها تأمر بالخير والاحسان وأن المسيحية لم تبح سفك الدماء  
واضطهاد الأبراء ، ولكن ما العمل وقد اضطهدت هذه النفوس  
البشرية باسمها . وذلك ارضاء للنفوس الدينية ، والأطماع  
السافلة .

لقد قام الاسلام يدعو الى التوحيد ، فأعطى أهل الكتاب الحرية التامة في اقامة شعائرهم الدينية و معتقداتهم ، ولم يعمد الى السيف في اخضاع المشركين و ردهم الى حظيرة الایمان بالله الا اذا أبوا أن يلبوا دعوة الله بالحجۃ البینة ، والموعظة الحسنة ، واختاروا الحرب •

أفبعد هذا يزعمون أن الاسلام دين كاذب • لیت شعری ،  
آية كذبة تماشی العصر ، وتسایر الزمن ، وتعيش مع الدهر  
— بين الخصوم — أكثر من أربعة عشر قرنا ، وتنظری تمویها تها  
على حوالي ستمائة مليون من الناس ، وتظل عندهم طيلة هذه  
الأحقاد موضع الاجلال والاکبار ، تهز قلوبهم الرحمة وأکفهم  
للخير •

ألا ان الاسلام يرى مما نسب اليه ، فهو دین عربی صادق  
يدعو الى توحید الله دون أن يلتجأ الى التسواء المنطق وغث  
التاویل • ( ولئن فاتني حظى من النسب ، لن يفوتنی حظى من  
المعرفة ) •

خلیل جمعة الطوال

## المقال الثاني

### مقدمة الى الاستاذ خليل جمعة الطوال

ان من العجایة على الحق ، والافتراء على التاريخ ، أن يقول  
قائل ان الاسلام قد اتشر بالسيف . أى سيف كان يحمله  
محمد ، وهو الاعزل الذي لا حول له ولا قوة ، الوحيد الذي  
لا ناصر له ولا معين ، يناله السفهاء بالأذى فلا يستطيع أن يدفع  
عن نفسه ، ويأتمر به قومه ليقتلواه فيفر بحياته الى يرب .

لقد ظل محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما يسعوا الى  
سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولم يكن له من سلاح  
غير ثقته بالله وايمانه بأنه على حق ، ولقد لاقى هو وأصحابه فى  
سبيل هذه الدعوة من ضروب الفتنة والاضطهاد مالا يثبت عليه  
الا الذين عمرت قلوبهم بالايمان ، واستيقنت أنفسهم من  
نصر الله .

كان الرسول يوما يصلى عند الكعبة ، وبينما هو ماجد اذا  
بعقبة بن أبي معيط ، يطا عنقه الشريف حتى كادت عيناه تبرزان

وخفقه بردائه خنقا شديدا ، والناس من حوله شامتون ،  
حتى أقبل أبو بكر محتدا وخلص الرسول منه وهو يقول :  
أقتلوا زوجاً أن يقول ربى الله .

ولما خرج إلى الطائف يدعوا أهلها إلى الإسلام ، أغروا به  
سفهاءهم فترصدوا له بالطريق وأخذوا يحصبوه بالحجارة حتى  
انقضت قدماه بالدماء .

ولما أبى عمه أبو طالب أن يسلمه اليهم ليقتلوه تعاهدوا على  
مقاطعة أوليائه من بنى هاشم ، ودامت هذه المقاطعة ثلاث سنين  
لقي فيها هذا البيت الكريم من العنت والارهاق أعظم البلاء .  
وعذب عمار بن ياسر وأهله عذابا شديدا ، فكان الرسول  
يمر بهم وهم في العذاب ويقول : صبرا آل ياسر ، فإن موعدكم  
الجنة .

ومن ذلك أن أبا جهل طعن سمية أم عمار بحرية قضى عليها  
فسكا عسار ذلك إلى الرسول قائلا : يارسول الله ، بلغ منا العذاب  
كل مبلغ . فقال صلى الله عليه وسلم : ( اصبر أبا يقطان ، اللهم  
لاتعذب من آل ياسر أحدا بالنار ) .

وقد استشهد أفراد هذه الأسرة الكريمة في سبيل الله ، ولم  
يبق منهم إلا عمار الذي كان يعذب حتى لا يعي ما يقول .

ومن عذب في سبيل العقيدة بلال بن رباح كان مملوكا  
لأميرة بن خلف ، فلما اعتنق الإسلام حنق عليه سيده وأمره

بالرجوع الى عبادة الأصنام ، فلم ينفع لأمره لأنَّه ذاق حلاوة الايمان ، فأنزل به ألواناً من العذاب : كان يطرحه على الرمضاء ، ويصهر على صدره دروع الحديد ، ويوضع عليه الاحجار الثقيلة حتى قد ظهره . وهو يهتف دائمًا : أحد ، أحد ، الى أنْ أتقنه أبو بكر فاشترأه من سيده ، وأعتقه لوجه الله .

وكثير غير هؤلاء من آمنوا بمحمد في مبدأ بعثته ، كانوا يلاقون العذاب الهون والبلاء العظيم ، حتى أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لمن ليس له أنصار يحمونه من هذا العذاب أن يفر بيديه الى الجبسة ، فهاجر اليها جم غفير . واستأذن أبو بكر في الهجرة اليها فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم له ، فلما كان على مسيرة يومين ، لقيه ابن الدغنة سيد قومه فسألَه : أين تريد يا أبو بكر . قال آخر جنِي قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربِّي ، قال : إن مثلك لا ينبغي أن يخرج أو يخرج من أرضه ، ثم رجع به الى قريش وأدخله في جواره ، على شرط أن يعبد الله .

فابتلى أبو بكر مسجداً بفناء منزله ، وصار يصلى فيه ويتلوي كتاب الله ، فكان نساء قريش وشبابهم يجتمعون حول داره ، يستمعون لتلاؤته ، ويؤخذون ببلاغة القرآن وروعته . ففزع القوم وشكوا أبو بكر الى حليفه ، فأغلظ الحليف لأبي بكر في القول وقال له : اما أن تستعلن بعبادتك ، واما أن تعيد الى ذمتى فقال أبو بكر : الى أرد لك جوارك وأرضي بجوار الله عز وجل

فكيف اجتمع هؤلاء الناس على محمد ° أبالسيف وهو  
أعزل لا يستطيع أن يعصم نفسه ° ومتى كان السيف وسيلة  
لتكون العقائد في النفوس ؟ °

ولماذا باعوه أرواحهم يبذلونها رخيصة في سبيل دعوته ؟ °  
أطمعوا في مال وهو فقير لا يكاد يملك من حطام الدنيا شيئاً °  
ومتي كان للمال هذا السلطان القاهر على العقول والافهام ؟ °  
كلا ، لا بهذا ولا بذلك ، وإنما بهذا الدين الخينف الذي  
استحوذ على العقول وأخذ بمجامع القلوب ، وبهذا الكتاب  
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي حين  
سمعه ملا الحبشه من القسس والرهبان خشت قلوبهم وفاقت  
أعينهم وأسلموا الله رب العالمين ، فنزل فيهم قوله تعالى : « ولتجدن  
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنما نصارى ذلك بأن منهم  
قسيسين ورهبانا وإنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى  
الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون  
« ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين »

ولقد ظلل المسلمون على هذه الفتنة الطاغية فترة من الزمن ،  
حتى إذا استفحـل الخطـب وعـظم الـباء ، شـرع الله لهم القـتال دـفاعـا  
عن النفس وذـبا عن الدين ، فقال تعـالـى : « أذن للـذين يـقاتـلون  
يـأنـهم ظـلـموـا وـأـنـ الله عـلـى نـصـرـهـم لـقـدـيرـ» ، الـذـين أـخـرـجـواـمـنـدـيـارـهـمـ  
بـغـيرـحـقـ الاـأـنـ يـقـولـواـ رـبـنـاـ اللهـ» « وـقـاتـلـوـهـمـ حـتـىـ لـاـ تـكـوـنـ فـتـنـةـ  
وـيـكـوـنـ الدـيـنـ كـلـهـ اللهـ ، فـاـنـ اـتـهـواـ فـاـنـ اللهـ بـمـاـ يـعـمـلـونـ بـصـيرـ» °

كان موقف الاسلام اذن موقعها سلميا في حروبها الأولى ، لا يقصد به غير الدفاع عن أهله ، ورد عدوان المعتدين . فلما استقرت قواعده ، واتهت اليه الخلافة في الأرض ، كان عليه أن يقف موقعها ايجابيا لحماية المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وييع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » .

وهذا يدل على أن الحرب في الاسلام وسيلة لدرء المفاسد واقرار السلام ، لا ارضاء لشهوة الفتح والاستبعاد واذا كان الاسلام قد حدث على الاستعداد الحربي بقوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » فانما يرمى بذلك لاطفاء جذوة الحرب في تفوس الأعداء ، وهو ما يعرف في هذا العصر بالتسليح السلمي .

وهذه مبادئه الحربية شوأه ناطقة بعدله ورحمته واحسانه انظر اليه يأمر بالسلم اذا جنح اليها العدو ، ولو كان جنوحه خداعا ومجاالتة : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو الشميم العليم ، وان يريدوا أن يخدعواك فلن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

وما تم في معاهدة الحديبية ، يدل على مبلغ حرص الرسول  
— صلى الله عليه وسلم — على السلم وكراهية الحرب ، فقد رضى أن  
توضع الحرب بين المسلمين والشريكين عشر سنين ، في الوقت  
الذي كان المسلمون يتربّقون على القتال ، ويُنتظرون منه كلمة  
واحدة ، يندفعون بعدها كالسيل الجارف صوب مبكة ، حيث  
يتصرفون لأنفسهم وللإسلام من أولئك الذين أخرجوهم من  
ديارهم بغير حق ، فكان الرسول حائلاً بينهم وبين ما يشتهون ،  
حتى كادت تحدث بينهم فتنة عمياء لولا أن الله سلم ٠

وكان الرسول يوصي اتباعه دائمًا في الحروب بقوله :  
( اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدوا ولا تغدو  
ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرة فانيا ، ولا منعزل بصوامعته  
ولا تحرقوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ) ٠

هذه مبادئ الإسلام في الحرب ، وهي أرحم بالانسانية  
وأشرف غاية من المبادئ السلمية — ولا أقول الحرية — التي  
تطبقها الدول القوية على الأمم الضعيفة باسم المدينة في هذا  
العصر ٠

واليك هذا الموقف الرائع النبيل ، حين فتح الرسول مكة ،  
وتمكنه الله من رقاب قريش ، وقد وقف على باب الكعبة والناس  
من حوله يتظرون كلمة الفصل : فاما موت واما حياة ٠ فقال  
لهم : ما ترون أنني فاعل بكم ؟ ٠ قالوا : خيرا ، اخ كريم وابن اخ

كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . فكان ذلك سببا في اسلام  
قريش بأجمعها ، وحقن دمائهم ودماء المسلمين .

فالقول اذن بان الاسلام انتشر بالسيف فرية باطلة ، وانما  
انتشر الاسلام بالحجۃ والبرهان ، وبسماحة مبادئه ومتانة اصوله  
ولا عجب فهو الذى يقول : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد  
من الغى ، فمن يکفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة  
الوثقى لا انفصام لها ، والله سمیع علیم » .

محمد كامل حته

## درس في السياسة من آيات القرآن

يقول بعضهم ان السياسة خداع واحتياط ، وانها اتخاذ  
السبيل الى الكسب من أى طريق كان ، والظفر بتغليب الرأى  
من حيثما اتفق ، وقالوا انها أكثر من ذلك امعانا فى الكذب  
الصراح ، وقالوا فيها أقوالا كثيرة وخطيرة لا حاجة الى  
استعراضها ويكفى أن نذكر قول الشاعر المصرى حافظ ابراهيم  
يصف السياسة مخاطبا أحد الزعماء وهو في طريق المفاوضة :

ان مثلوا فدع الخيال فانه  
عند الحقيقة يسقط التمثيل  
الشبر في عرف السياسة فرسخ  
والاليوم في تلك السياسة جيل  
ولكل لفظ في المعاجم عندهم  
معنى يقال بأنه معقول

إلى آخر الأقوال الواردة في هذا الموضوع . الواقع  
المشاهد انه كم من عقود مبرمة تقضت بين السياسيين ، وكم من  
اتفاقات معمول بها في عرفهم وإذا بها بين عشية وضحاها  
«قصاصة ورق» كما تسميتها لغة القوة أو لغة السياسة .

الى هؤلاء نسوق الحديث ، ونقول ليتهم فقهوا من القرآن  
الكريم الآية العظيمة المحكمة البينة التي نذكرها فيما يلى :

« أوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا اليمان بعد  
توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون .  
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون  
أيمانكم دخلا يينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة » .

وظاهر الآية صريح النص في أمره تعالى بأوفاء بالعهود  
والمواثيق والمحافظة على اليمان المؤكدة ، وتبغىض الغدر  
والنكث ، وقد وردت أحاديث لا تحصى في هذا المعنى ، ثم  
ضرب الله مثلا لنقض العهود والمواثيق بالتي نقضت غزلها من بعد  
قوة أنكاثا ، ثم اتخاذ اليمان وسيلة للخداع والكذب والغش  
— تتخذون أيمانكم دخلا يينكم — أن تكون أمة أربى من  
أمة ، وهذا هو المعنى السياسي الذي تقصد الاشارة اليه ، وهو  
ما يقع بين الأمم في العصور الأخيرة من ضروب الخديعة حين  
تكون أمة أربى — أكثر — من أمة .

وخلالصة ما نريد أن نشير اليه في هذا الباب ، هو هذا  
الدرس الاخلاقي السياسي العظيم الذي ضربه الله لعباده لأنّه  
يشتمل على صورة للمثل النبيل في السياسة الصادقة التي توفر  
على الأمم سعادتها وتضمن لها هناءها ، والا فما هي قيمة

العهود والمواثيق اذا كانت لا تساوى ما خطت به من مداد  
وتقشت عليه من ورق ، وما هو الحاجز الذى يحتجز الأطماع بين  
القوى والضعف ، اذا كانت الايمان دخلاً بين الناس أن تكون  
أمة أربى من أمة .

وليس بنا حاجة الى استعراض ما تعانبه الأمم الحاضرة في  
كل أصقاع الأرض من ضروب العسف ونقض العهود ونكث  
الاتفاقات مما هو شائع معروف ، وما تأدلت اليه هذه الحالات من  
مخاصلات ومشاحنات ، كاد يمتشق فيها الحسام ويشير قبها  
الرصاص .

فهلا تدبر الناس في كلام ربهم واتتفعوا بما فيه من عظات  
وعبر وما رسمه لهم في حياتهم الدنيوية من سعادة وهناء .



# الباب السابع في الشؤون الاقتصادية

- ١ — النهي عن التعامل بالربا
- ٢ — حفظ الحقوق بين الأفراد والجماعات .
- ٣ — المشاكل القضائية بين المتقاضين



## النهى عن التعامل بالربا المضاعف

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا  
الله لعلكم تفلحون » .

وقد جاء في تفسير هذه الآية ما يأتي :

« يقول الله ناهيا عباده المؤمنين ، عن تعاطي الربا وأكله  
أضعافا مضاعفة ، كما كانوا في الجاهلية يقوانون اذا حل أجل  
الدين اما أن تقضى واما أن تربى ، فان قضاه والا زاده في المدة  
وزاده الآخر في القدر ، وهكذا كل عام فربما تضاعف القليل  
حتى يصير كثيرا مضاعفا ، وأمر الله عباده بالتقوى لعلهم يفلحون  
في الأولى والأخرى » .

قلنا : هذا الذي عابه الله على المرابين من جاهلية العرب ،  
هي كونهم يفعلون الربا المضاعف ، ثم نهاهم عنه وحرمه عليهم ،  
هو بعينه الذي يفعله كثير من كبراء الأمم في العالم اليوم ، فان  
كثيرا من المعاملات المادية من تجارية ومالية وغيره لا تقوم الا على  
هذا الربا المضاعف .

والواقع أن مشكلة التعامل بالربا بين الأمم والأفراد ، وعلى الأخص الربا المضاعف ، هي من المشاكل الرئيسية بالنسبة للمجتمع الانساني حيث كان . وذلك برغم اصطلاح القوانين الوضعية على تنظيم الربا وأياحته في أغلب أمم الأرض ، والأمثلة على ذلك من الكثرة بحيث لا تحصى ، ومن الأدلة على فساد فكرة الربا وكونها من السبل المؤدية بكثير من المتعاملين بها إلى الخراب العاجل أى إلى العقاب الدنيوي ، إن كل الأمم التي أياحت الربا حددت التعامل به في دائرة ضيقه منظمة وما وضعت ذلك التحديد إلا لتدراً عن أفرادها بعض الاضرار الجسمانية التي تنتجه عنه ، ولكنها برغم ذلك لم تستطع أن تدفع الأذى الكامل الذي يتحقق بالناس من التعامل به ، وكثيراً ما تشغله المحاكم وينشغل القضاة بالنظر في مشاكل المتعاملين بالربا وعلى الأخص الربا الفاحش الذي تحظره كل الأمم التي أياحت قوانينها الوضعية التعامل بالربا في الحدود الضيقه التي أشرنا إليها .

وفي الواقع أن الربا يجب أن يحرم وأن يمنع قطعاً طبقاً لما أمر به القرآن الكريم ، والأمة التي تفعل ذلك ، إنما تسدي يد الاحسان إلى مجتمعها بما تدرأ عنه من الأذى الذي لا يقف خرره عند حد بين الأفراد والجماعات ، لأن كثيرة من النفوس الإنسانية لا يقف بها الجشع عند حد معين خصوصاً تلك النفوس التي غالب عليها الطمع والشح .

صاحب المال ، يستغل ضعف المحتاج أسوأ استغلال ، ويتعمد أن لا يقرره إلا بذلك الربا الباهظ . وشره النفس كما قلنا لا يقف عند حد ، فيترتب على ذلك أن يزداد الدائن جشعًا فيزيد الربا حيث ينصلح المدين بتأثير الضعف النفسي ، حتى إذا ما حان وقت السداد كانت هناك ترة مؤكدة في النفس بين الفريقين ، فهذا يريد أن يشبع نهمه بتحصيل ما يدعوه وذلك يشعر أذ ذاك فقط بعنجهة وخسران حسنته بأخذه ذلك القليل بما صار إليه من الكثرة فيشعر في قراره نفسه بالحقد والضغينة على دائره الأئم .

وليس أحسن في هذه الحالة من المعاملة البريئة التي يقصد بها مجرد وجه الله ، فمن كان ذا مقدرة وميسرة وطلب إليه القرض البريء إلى أجل ويسيرة فله ذاك ، ومن كان لا يستطيع فيما عليه من المقدرة بالتي هي أحسن .

أما ما عدا ذاك فسبيل شائك يؤدي إلى الخسaran والى ضياع الحقوق واشعال العداوة والبغضاء بين النفوس والقلوب ، فيما لا طائل تحته ولا غنية وراءه ، والله وراء القصد .

ولقد اكتفينا بهذه الآية من القرآن في حق الربا حيث وردت آيات كثيرة لا تعد في هذا الموضوع ، كلها آيات بنات .

## حفظ الحقوق بين الأفراد والجماعات

سنذكر في هذا الباب ، أطول آية في القرآن نزلت في حفظ الحقوق بين الأفراد والجماعات . وقد رسمت تلك الآية الحكيمية ، الطريق السوى الذي يجب أن يتبعه الجميع في معاملاتهم ، لينتفعوا من وراء ذلك بجملة أشياء ، وليدفعوا عن أنفسهم عناه الشر والتضليل فيما لا طائل تحته . أجل لينتفعوا بحفظ حقوقهم في معاملاتهم التي لا بد منها ، وليدفعوا عن أنفسهم شر التضليل وما يفضي إليه من خصومة وضيق ، وترة ودخل .

ولقد عنى القرآن الكريم في هذه الآية التي قلنا أنها أطول آية فيه ، بأدق مثل كريم ، لأدق مشكلة من مشاكل البشر ، إذ هي ضمنت حقوقهم المالية ، والمسائل المالية في القديم والحديث ، هي مشكلة المشاكل في حياة الناس سواء كانوا أفراداً أو جماعات فاما الأفراد فكثيراً ما تنشأ بينهم العداوات وتشريع البعضاء بل ولا نذهب مذهب الغلو اذا قلنا ، وترتكب الجنایات والجرائم ، من أجل مسألة مالية أو معاملة تجارية ، والجماعات كثيرة تتورط

منهم النفوس وقد تتشبّه الحروب وتقطع أو اصر الصلات ، من أجل مسائل مالية أو مشكلة من مشاكل التعامل . لهذا فقد عنيت آية القرآن الكريم بتفصيل هذه المسألة تفصيلاً دقيقاً كما تصف الداء وتصف معه الدواء ، بما لم يترك عذراً لمهمل يضيع من حقه ثم ينشده ويبكي عليه ، أو يضيع حقه ثم يشير من أجله حرباً عواناً لا أول لها ولا آخر .

يقول القرآن الكريم في الآية المذكورة :

« يا أيها الذين آمنوا إذا تدأيتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ولنكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ولنيلل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فلنيلل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن نم يكونا رجلين فرجل وامرأةان من ترضون من الشهداء أن تضل أحدهما فلتذكر أحدهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوا صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح إلا تكتبوها وأشهدوا إذا تباعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » .

أجل ٠ لوقرأ الناس هذه الآية الكريمة من القرآن وتبهوا  
إليها وفطنوا إلى ما فيها من حكمة سامية وعملوا بها ٠ إنهم لو  
فعلوا ذلك لأقلت دور التقاضي أبوابها بين عشية وضحاها  
ولا استراح الناس واستراح القاضي ٠ والا فماذا يفعل القضاء في  
الأمم الحاضرة أكثر من انشغاله بدعوى الحقوق المدنية حيث  
أهمل الناس أمور دينهم وتعاليمه واتبعوا شهوات الدنيا وما تزينه  
من الباطل والبهتان والزور ٠

لقد تضمنت هذه الآية الكريمة عشر مسائل ، كل مسألة منها  
مشكلة من مشاكل المجتمع الإنساني في كل مكان وكل زمان ٠  
واننا لنذكر بالايحاز تفصيل تلك المسائل التي أرشدت إليها الآية  
وأوجبتها أو نهت عنها ، حسونا للمصلحة العامة بين الأفراد  
والجماعات ٠

أولا — تقول الآية « يا أيها الذين آمنوا اذا تداینتم بدين  
إلى أجل مسمى فاكتبوه » فهذا أمر للناس يكتابه ما يتقاربون  
من الحقوق حفظا لها « وأدنى الا ترتابوا » كما جاء في آخر  
الآية وحسونا للنفوس من نزعات الشيطان وما يosoس به للنفس  
الأمارة بالسوء من تزيين الباطل بجحود الحق أو المماطلة فيه ٠

ثانيا — « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » وهذا أمر لمن  
يتولى الكتابة بين ذوي الحقوق أن يكون مقسطا في كتابته فقد  
يكون الطرفان جاهلين أو أميين أو أحدهما كذلك والأخر متعلم

والأمر في هذه الحالة متعلق بذمة الكاتب وضميره فلا يخون أحدهما الآخر ، ولا يكون مع فريق دون فريق .

ثالثا -- « ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » اذ أن كثيرا من الناس الذين يحسنون الكتابة ، حين تسألهم أن يكتبوا لك شيئا وأنت أمى جاهل ، يعتذرون بالجهل وعدم المعرفة وهم كاذبون ، وذلك شيء مشاهد ملموس ، فهذا الأمر لهم بأن لا يكتتموا نعمة الله عليهم وان لا يتآبوا الكتابة لمن لا يعرفها متحلين بذلك الادعاء الكاذب .

رابعا -- « وليملل الذي عليه الحق وليتقى الله ربه ولا يبخس منه شيئا » وهذا أمر للمدين أن يملل الحق الذي عليه ويقرره على سجنته فلا يبخس صاحبه شيئا وان يتقوى الله ربه في ذلك . خامسا -- « فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليسلل وليه بالعدل » وهذا أمر على ولى المدين أن يقرر الحق الذي هو فى ذمة صاحب الولاية عليه اذا كان ذلك مجنونا أو معتوها أو ضعيفا ، وان يقرره بالعدل من غير بخس .

سادسا -- « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان من ترضوان من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » وهذا أمر صريح بضرورة الاستشهاد في مثل تلك الأحوال ، ولا تذكر قيمة الشهادة ونفعها وقد أفسح الله لعباده فجعل الشهادة بزوجين فإذا لم يتيسر فبرجل وامرأتين اذ أن المرأة تقوى مقام الرجل في الدين الإسلامي في جهالتي

الاستشهاد والتوريث والحكمة في ذلك ظاهرة أجل من أن تخفي وقد ذكرتها الآية في قوله تعالى وذلك لأن تضل — تنسى — أحدهما فتذكرة أحدهما الأخرى وذلك لما هو معروف عن طبيعة المرأة وضعفها عن الرجل ، على أن النقطة الجديرة باللحظة هنا هي أن الذي يقرر هذا الكلام في حق المرأة ، هو الخالق العظيم الذي خلق الجنسين من ذكر واثن ، والذي هو أعلم بسر ما خلق وبطبيعة خلقه فلا داعي لفضول المتحذلقين الذين يقولون بمساواة المرأة بالرجل في جميع المهن والأعمال ٠

سابعاً — « ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا » وهذا أمر صريح لمن يتولون الشهادة بين طرفين دائم ومدین ، لأن لا يتقاعوا عن تلبية أداء واجب الشهادة اذا ما دعوا الى أدائها اقرارا للحق وصونا لحقوق الناس وهو أمر له قيمته وخطره في حض من يتولون الشهادة على عدم الاحجام والمبادرة الى تقرير ما يعلمون، وقد جاء في حق الشهادة آية أخرى في غير هذا المكان من القرآن نعرض لها في محلها ان شاء الله ٠

ثامناً — « ولا تسأموا أن تكتبوا صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرلأنها بينكم فليس عليكم جناح إلا تكتبواها » وهذا أمر كريم فيه نهاية الارشاد والسداد ، اذ يقول سبحانه وتعالى لا تسأموا ولا تستهينوا أن تكتبوا أي شيء قل أو كثر دفعاً للريبة فيما بينكم ودفعاً لما يترتب على الريبة من

مخاصلات وشحذاء وبعضاً ومقاضاة الا اذا كانت المعاملات مقبوضة ليس فيها نسيء ، فهـى في هذه الحالة لا يضر فيها عدم الكتابة وذلك هو أعدل لكم وأصلح ، وهذه الفقرة من الآية جمعت اسـى معانـى الاخـلاص وحب الله لعبادـه حين يرشـدـهم الى تجـنب أبـسط ما يـنـتـجـ منه الضـرـرـ لهم .

تاسعاً - « وأشهدوا اذا تبايعتم » وهذا أمر من الله لعبادـه بأن يستشهدـوا على ما يتـبـاـيـعـونـ منـاـ لـماـ قدـ يـقـعـ بـيـنـ طـرـفـيـ الـبـاعـ وـالـمـشـتـرـىـ فـىـ مـسـتـقـبـلـ أـمـرـهـمـ مـنـ ظـنـةـ أوـ نـكـرـانـ أوـ جـحـودـ تـؤـدـىـ بـهـمـاـ إـلـىـ المـخـاصـمـةـ أوـ الشـرـ .

عاشرـاـ - « ولا يضارـ كـاتـبـ ولاـ شـهـيدـ وـاـنـ تـقـعـلـوـاـ فـاـنـهـ قـسـوقـ بـكـمـ وـاـتـقـواـ اللهـ وـيـعـلـمـكـمـ اللهـ وـالـهـ بـكـلـ شـيـءـ عـلـيمـ » أـىـ اـذـاـ كـانـ الكـاتـبـ أـوـ الشـاهـدـ عـلـىـ حـاجـةـ أـوـ مـعـذـرـةـ وـهـمـاـ فـيـ هـذـهـ حـالـةـ مـنـ خـدـامـ الـإـنـسـانـيـةـ وـالـحـقـ ، فلاـ تـجـبـ مـضـارـتـهـمـأـوـ اـكـراـهـهـمـاـ عـلـىـ مـاـ لـاـ يـسـتـطـيـعـانـ ، وـقـدـ قـضـتـ حـكـمـةـ اللهـ أـنـ يـدـفـعـ عـنـ السـكـاتـبـ وـالـشـهـيدـ هـذـهـ مـضـارـةـ فـىـ مـقـابـلـةـ مـاـ أـمـرـهـمـاـ بـهـ فـىـ مـقـدـمةـ هـذـهـ الآـيـةـ مـنـ الـإـمـتـالـ فـىـ قـوـلـهـ « ولاـ يـأـبـ كـاتـبـ أـنـ يـكـتـبـ كـمـاـ عـلـمـ اللهـ » وـفـىـ آـيـةـ أـخـرىـ تـحـضـ عـلـىـ عـدـمـ كـتـمـانـ الشـهـادـةـ .

وـفـيـمـاـ يـلـىـ نـذـكـرـ بـعـضـ الـأـحـادـيـثـ التـىـ تـؤـيـدـ مـاـ جـاءـ فـيـ هـذـهـ الآـيـةـ .

فهي الحديث من رواية سفيان بن عيينة عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من أسلف فليسلف في كيل معلوم وزن معلوم وأجل معلوم ) وفي حديث آخر ( من كتم علمه أعلم يوم القيمة بلجام من نار ) .  
وقد وردت أحاديث كثيرة في مثل هذه المعانى كما وردت آقوال قيمة لطائفة من آئمـة السلف الصالح ، وحسبنا الاشارة إليها اذ شرحتنا معنى الآية القرآنية التي هي ليست في حاجة إلى وضوح وليس فيها من ابهام .

ونرى قبل أن نختـم هذا الباب أن نذكر آية أخرى من القرآن الكريم هي تتمة لهذا الكلام وللآلية التي سبقتها وهي قوله تعالى :

« وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرْهَانًا مَقْبُوضَةً ، فَإِنْ أَمْنَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا فَلَيُؤْدِي الَّذِي أَؤْتَمْنَ أَمَاتِهِ وَلَيُتَيقَّنَ اللَّهُ رَبُّهُ ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَثْمَ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِمْ » .

وهذه الآية كما قلنا ، هي تتمة لما سبق الكلام عليه ، فإذا كان المتأدـيانـان على سفر ولم يجـدوا كـاتـبا يـكـتبـ لهـما أو وجـداـ الكـاتـبـ وـتـعـذرـتـ أـسـبـابـ الـكتـابـةـ أوـ ماـ إـلـىـ ذـلـكـ منـ الأـحـوالـ ، فـرـهـانـ مـقـبـوضـةـ . فإذا توـقـرتـ الثـقـةـ بـالـأـمـانـةـ بـيـنـ الطـرـفـيـنـ لـأـنـ اللـهـ شـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ لـاـ يـرـيدـ الـحـرجـ عـلـىـ عـبـادـهـ فـيـكـفـيـ تـلـكـ الثـقـةـ أـنـ تـقـومـ مـقـامـ الـكـتـابـةـ وـالـشـهـادـةـ وـأـنـمـاـ عـلـىـ الـمـؤـتـمـنـ أـنـ يـؤـدـيـ أـمـاتـيـهـ

وهذا أمر عليه من الله ومع هذا فالله سبحانه وتعالى الذي هو أعلم بمعنويات العباد وبدخلية نقوسهم وخائنات صدورهم قدم الكلام في الآية الكبرى فقال : ذلکم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا . فهو خير عباده في تصرفهم بعد أن قدم لهم أخلص معانى النصيحة والارشاد وأسمها .

أما قوله ولا تكتموا الشهادة أى لا تخفوا ولا تجحدوها ، فقد قال ابن عباس وغيره : شهادة الزور من أكبر الكبائر وكتمانها كذلك ، أى أن شهادة الزور تعادل كتمان الشهادة ، وفي هذا ابلاغ ومن يكتمنها فإنه آثم قلبه أى فاجر مذنب ، وهذا كقوله تعالى « ولا تكتم شهادة الله أنا اذا ملن الآثمين » وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعذلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الآ كان بما تعللون خبيراً » وهكذا قال هنا « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمنها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم » .

فهن هذه الآيات المحكمة التي تحض على اداء الشهادة وعدم كتمانها ودفع التهيب في ادائها مهما كان موضوعها وموضوع الذين يدخلون تحت طائلتها ، ندرك مقدار السعادة الالهية التي رسسها الله لعباده بتقرير كل ما يتعلق بأدق شئون معاملاتهم في حياتهم الدنيوية فيما بينهم وبين بعضهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات ، والله بصير بعباده .

## المشاكل القضائية في المحاكم

### وبين المتقاضين

ومن الظواهر الاجتماعية في كل بلد بل في كل بقعة من بقاع العالم ، وفي كل زمان من الأزمنة ، وقوع المشاكل بين المتقاضين بحيث تغص المحاكم ودور الحكومات ، بهذا النوع من الخصومات وتعنى به التقاضي في الخصومات المدنية والحقوق ، والمسألة في هذه الحالة لا تتجاوز أحد أمرين بحال من الأحوال : وهى إما أن يكون هذا الخصم محقا في دعواه والآخر مبطلا ، وأما أن يكون العكس في حين أن كل واحد من الطرفين المتقاضيين يزعم لنفسه الحق ، ويدعى أنه في جانبه ، وقد فيما قال الشاعر :

لو أنصف الناس استراح القاضي

وبات كل عن أخيه راض

ولو أنصف الخصم المتقاضيان ، لكان منهم الحكومة العادلة والقول الفصل ، ولاستراح القاضي كما قال الشاعر .

والمشاهد الملحوظ أن الخصومة بين المتقاضيين لا تقف عند حلها ولا تقتصر عليهما ، خصوصا في البلدان الراقية حيث

يعد كل فريق الى انابة شخص يدافع عنه وهو المعروف بالمحامي في الاصطلاح العام . وما لا شك فيه أن كل محام في طرف الخصومة انما يمثل رأى موكله ، ولا شك أن أحد الطرفين المتراضيين على حق والآخر على باطل ، فيترتب على ذلك أن يكون أحد المدافعين يدافع عن حق والآخر يدافع عن باطل وتلك نتيجة معقولة لهذا المنطق المرتب ، لا نتيجة له سواها فما هو المعنى المستفاد من حالة كهذه ؟

لا شك أن هذه مشكلة اجتماعية كبرى لها خطورتها في حياة الأمم وأخلاقها ، ويمكن للقارئ أن يذهب مع الخيال قليلاً ، فيتصور لو أن المجتمع الإنساني خلا من مشكلة كهذه تعتبر من أمehات المشاكل التي تقض مضاجع الملايين من بنى الإنسان ، كلما أشرقت شمس أو غرب نهار .

والقرآن الكريم عافاك الله ، واجه هذه المعضلة مواجهة صريحة ، وحلها حلا صريحا جدًا لو فقهه له المسلمون ، وتبهاليه المؤمنون ، لتلمسوا معنى من معانى السعادة الحقيقية ولارتحوا الراحة الكبرى ولكن هيئات .

جاء في القرآن الكريم ، في هذا الموضوع ما يأتي :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتسلوا بها إلى الحكم لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأتقم تعلمون » .

والآية الشريفة ، واضحة التفسير ، بينة المرمى ، وقد قال المفسرون في شرحها أقوالاً كثيرة ، نجتزيء بعضها فيما يلى :

عن ابن عباس : هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة فيجدد المال ويختصم إلى الحكم وهو يعرف أن الحق عليه وهو يعلم أنه آثم أكل الحرام ، وقال جمهورة من السلف الصالح : لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم ، واتماماً للفائدة نذكر أن قضاء القاضي في هذه الحالة لا يعتبر حجة تسريح للظالم ابتلاع حق المظلوم ، وإنما هو مجرد حكم دنيوي أداه إليه اجتهاده فيما مثل أمامه من أدلة أن صحيحة وإن زائفة ، فلا يعفيه ذلك من عذاب الله ، وإن سوغر له في الظاهر الاستيلاء على حق غيره والاعتداء على مال سواه .

وتؤيداً لذلك نذكر أنه ورد في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( إنما أنا بشر وإنما يأتبني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أحن بحجه من بعض فأقضى له ) فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها ) .

والشاهد الملموس في كل بيئة وكل مجتمع ، أن الناس كثيراً ما يتخاصمون من أجل المعاملات المادية ، وتختلف الحالات عن بعضها من ناحية وجود الأثبات والمستندات أحياناً ، والاعتساد على الذمة والشرف أحياناً أخرى ، ف تكون النتيجة المحتملة ، هي الأدلة بالأموال إلى الحكم ، والحاكم يقضى في حكمه بنها

يراه أمامه من أدلة الإثبات والنفي ، ولا بد أن يقف أحد المتqaضيين في موقف الصادق والآخر في موقف الكاذب ، خصوصا ما يجره المتقاضيان في سبيل تأييد دعواهما أحيانا من شهادة الزور وما إليها حيث تتضاعف الآثام وترتكب الجرائم ٠

ذلك هو سر قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتسلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم واتهموا تعلمون » ٠

وليتصور القارئ ما يقع أحيانا من الجرائم الدموية والاصابات في الأنفس من جراء حالات كهذه مشاهدة ملموسة ، تتناقل الصحف أنباءها وتسجّل صداتها في كل بقاع العالم ٠

ليتأمل القارئ ، وليتدبّر ٠



الباب الثامن  
فصل متفرق في الشؤون العاشرة

- ١ - - الشعر والشعراء في رأي القرآن .
- ٢ - - مجموعة من الموعظ والأحكام .



## حكم القرآن في الشعر والشعراء

كثرت أقوال الناس في الشعر والشعراء ، وفي النص الوارد في القرآن بشأنهم ، واختلفت هذه الأقوال إما اختلاف ، فأحل الشعر بعضهم ، وحرمه آخرون ، ويدللون لك على هذا بقوله تعالى في القرآن « والشعراء يتبعهم الغاون » ويقفون بك عند هذا الحد من الآية ، وذلك على غرار ذلك الذي يقول لك : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة » . ثم يقف فيعكس المعنى المطلوب \*

وقد حملتني هذه النظرة على تتبع ما جاء في القرآن الكريم عن الشعر ، وعما ورد فيه من الأحاديث وأقوال المفسرين ، فخلصت من ذلك إلى النتيجة الآتية :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

« والشعراء يتبعهم الغاون ، الْمَرْءُ أَنْهُمْ فِي كُلِّ وَادِيهِمْ مُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَاتَّصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ، وَسَبَيْلُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىٰ مَنْقُلَبٍ يَنْقُلِبُونَ » \*

وهذه الآية صريحة المعنى واضحة الغرض ، ولكن إليك  
أقوال المفسرين الثقة في موضعها \*

جاء في تفسير الشيخ ابن كثير ما نصه :  
 كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فثام من الناس ولهذا  
 فثام من الناس ، فأنزل الله تعالى الآية \*

وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة عن أبي سعيد ، قال بينما نحن  
تفسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر  
ينشد ، فقال صلى الله عليه وسلم ( خذوا الشيطان ، لأن يمتليء  
جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتلي عشرة ) \*

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل واد يهيمون ،  
أى في كل لغو يخوضون ، وقال الضحاك في كل فن من فنون  
الكلام وكذا قال مجاهد وغيره . فإن الشعراء يتبعجون بأقوال  
وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم ، فيتكلثرون بما ليس لهم ، ولهذا  
اختلف العلماء رحمة الله فيما إذا اعترف الشاعر بما يوجب هذا  
هل يقام عليه الحد بهذه الاعتراف أم لا ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون  
على قولين \*

وقد ذكر محمد بن إسحاق ومحمد بن سعد في الطبقات  
والزبير بن بكار في كتاب الفسحامة أن أمير المؤمنين عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدي بن نضلة على  
ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر ، فقال :

الا هل أتى الحسناء ان خليلها  
 بيسان يسكنى في زجاج وختم  
 اذا شئت غنتني دهاقين قربة  
 ورقاصة تحدو على كل مسم  
 فان كنت ندمانى فبالاكبر استنى  
 ولا تسقنى بالصغر المتشم  
 لعل أمير المؤمنين يسوعه  
 تادمنا بالجوسق المتمدم  
 فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،  
 قال : أى والله ليسوعنى ذلك ، من لقيه فليخبره أنى قد عزلته ،  
 وكتب اليه خطاباً بعزله ، فلما قدم الى عمر بكنته بهذا الشعر فقال  
 والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط ، وما ذاك الشعر الا شيء طفح  
 على لسانى ، فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لي عملاً أبداً  
 وقد قلت ما قلت . والمراد بهذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم  
 الذي أنزل عليه القرآن ليس بكافراً ولا بشاعر ، لأن حاله مناف  
 لحالهم من وجوه كثيرة كما قال تعالى « انه لقول رسول كريم »  
 وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كافراً قليلاً  
 ما تذكرون تنزيل من رب العالمين » .

وقال محمد بن اسحاق عن ابن أبي عبد الله مولى تميم  
 الداري قال لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) جاء حسان بن  
 ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهم يكُونُ قالوا : قد علم الله حين أَنْزَل هذه الآية  
أَنَّا شُعْرَاءٌ فَتَلَاقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا  
الصَّالِحَاتِ » قَالَ : أَتُنَزِّلُ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَرَوْا وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا قَالَ أَتُنَزِّلُ  
مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْنَا وَقَالَ أَتُنَزِّلُ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَرَوْا إِبْرَاهِيمَ حَاتِمَ وَابْنَ جَرِيرَ مِنْ  
رَوْاْيَةِ ابْنِ اسْحَاقِ وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ مُتَشَابِهَةٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى ۝

وجاء في تفسير قوله تعالى « وَاتَّصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْنَا »  
قال ابن عباس يردون به على الذين كانوا يهجون به المسلمين وقد  
ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان  
ابن ثابت (أهجمم — أو هاجهم — وجبريل معاك) وقال الإمام  
أحمد حدثنا عبد الرزاق عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن  
أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد أَنْزَل  
في الشعراً ما أَنْزَل فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (إن المؤمن  
يُخَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانَهُ وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَكَانَ مَاتَرْمَوْنَهُمْ بِهِ نَضْحَ  
النَّبِيلِ ۝ ۝

## النتيجة

والنتيجة المستفادة من معنى الآية الشريفة ، ومن الأحاديث النبوية الكريمة ، ومن أقوال المفسرين ، هي أن الشعر مثله مثل غيره من الأعمال يثاب المرء على الصالح منها ، ويعاقب على السيء فيها ، وهذا هو القانون الطبيعي لكل أمر ، إذ أنه يتحمل الوجهين وجهاً للخير ووجهاً للشر ، فالشعر الذي يحتمل ناحية الخير هو الشعر المباح ، والذي يحتمل ناحية الشر هو المحظور .

وجاء في تفسير الشيخ البغوي لهذه الآية ما نصه :

قال أهل التفسير : أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجرون النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتلهم وأسمائهم مما لا داعي لسرده هنا ، ويتباعهم الغاون يقصد الرواة الذين كانوا يجتمعون لسماع ذلك الهجو ويتناقلونه في كل مكان وورد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاة وأبن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خُلُوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ  
الْيَوْمَ نُنَصِّرُكُمْ عَلَى تَزْيِيلِهِ

ضربا يزيل الهم عن مقيمه  
ويذهب الخليل عن خليله

قال له عمر يا ابن رواحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( خل عنه يا عمر فله أسرع فيهم من نصح النبل ) .

وروى من طريق عبد الواحد المليجى يستنده الى عدى انه سمع البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : (اهجهم — أو هاجهم وجبريل معاك ) وورد عن عائشة أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الرسول ( ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله ) وورد عن عائشة أنها قالت (الشعر كلام فمه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الشعر لحكمة ، وقال الشعبي كان أبو بكر رضي الله عنه يقول الشعر وكان عمر رضي الله عنه يقول الشعر ، وكان على رضي الله عنه أشعر الثلاثة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهمما أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستشهد فروى انه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي فاستشهد القصيدة التي مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر  
غداة غد أم رائح فمهجر  
فأشدده ابن ربعة القصيدة الى آخرها .

وورد عن عائشة أنها قالت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اهجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل ، فأرسل الى ابن رواحة فقال اهجمهم فهم جاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الأسد الضارب بذنبه ، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال (والذي بهث بالحق لأفري لهم بلسانى فرى الاديم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وان لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسيبي فاتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد خلص لى نسبات والذى بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسأل الشعرة من العجين ، وفان :

هجوت محمدا فأجبت عنه  
وعند الله في ذاك الجزاء  
هجوت محمدا براقيا  
رسول الله شيمته الوفاء  
فمن يهجو رسول الله منكم  
ويصلحه وينصره سواء  
وجبريل رسول الله فينا  
وروح القدس ليس له كفاء

وفي تفسير هذا التحديد ، نستخرج الطريق السوى الذى رسمه القرآن الكريم للصورة التى يجب أن يكون عليها الشاعر الاسلامى وللمواضيع الذى يجوز له أن يطرقها ، ومفهوم أن المقصود من ذلك العمل على ما فيه مكارم الأخلاق وما يدعوا الى العمل الصالح ، وينهى عن السيئات ، أما الأبواب الأخرى التى تعود الشعراء أن يلحوظوا فيها ويختبزوا عباب تلك السحور السيفحة فمنهى عنه ومستقبح خصوصا ناحية المهاجاة والعياذ بالله والخوض فى الاعراض واتباع أرذل الكلام وأشنعه والسباب بالباطل والمديح الكاذب والنفاق والمراءة والهيمام فى كل ذلك هو المشنوع فى نص القرآن وهو ما يتنافى مع كرامة الشعر والشعراء ، ومن يتبع ذلك فيكون قد حقت عليه الآية الكريمة فى شطرها الأول ، كما أن من يتتجنب ذلك يكون من الذين اتصفوا بالشطر الثاني من تلك الآية .

فلا تخيل أن الشعراء اتبعوا نصيحة القرآن الشريف وعملوا بما جاء فى الآية التى نزلت فىهم فماذا نجد . نجد صورة رائعة للأدب العربى غير الصورة الموجودة اليوم ، أجمل كنا نجد الأدب مرسوما فى غايتها السامية خلوا من كل ذام ومستقبح ، أما ولم يفطن الكثير من الشعراء الى تلك الصورة التى رسماها القرآن الكريم للغاية السامية التى يجب أن يتبعوها ، فقد حقت عليهم كلمة الله ولا حول ولا قوة الا بالله الا من عصم ربك ، من الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

## مجموعة من المواقف والاحكام

إيتاء الحقوق الى مستحقها — النهى عن التبذير —  
صرف المحتاجين عند المقدرة بالقول الحسن — النهى عن الشح  
والاسراف —

هذه آية واحدة من الآيات الكثيرة التي حفل القرآن الكريم  
بأمثالها وقد جسعت طائفة من الأحكام التي تكفل السعادة لأبناء  
المجتمع العالمي لو أنهم تفهوموها وتدبروا ما جاء فيها وعملوا به.

وهذا نص تلك الآية الحكيمية الجامدة :

«وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَهُ وَالْمُسْكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ  
تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ  
كُفُورًا وَمَا تَعْرَضْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ تَرْجُوهُمْ فَقْلَ لَهُمْ  
قُولًا مَّيسُورًا ، وَلَا تَجْعَلْ يَدِكَ مُغْلَوْلَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تِبْسَطْهَا كُلَّ  
الْبَسْطِ فَتَقْعُدْ مَلُومًا مَّحْسُورًا» ۰

فاما الكلام على إيتاء الحقوق الى مستحقها من ذوى القرابة  
والرحم ومن يليهم من المسكين وابن السبيل والسائل وما الى  
ذلك ، فقد تقدم القول عنه في باب آخر من أبواب هذا الكتاب

فلا داعي الى تكرار الحديث بالتفصيل فيه وحسبنا الاشارة اليه لأن الآيات كثيرة وحفيئة بأمثال هذه المعانى النبيلة ، وتكرارها انما هو للمناسبات التي تزلت فيها ولاته يدل على مقدار النصح الالهي الكريم لعباده باتباع الطرق المؤدية الى سعادتهم فيما بينهم وتحملهم على تجنب كل ما يعود عليهم بالضرر والخسران وتشتمل الآية على النهى عن التبذير ، والتبذير علة من علل المجتمع الانساني لأنه داء عضال في كثير من بنى الانسان ، يقابله داء الشح في كثير من الناس ، وقد وردت الآيات الحكيمية كثيرة في هذا الصدد ، وحسبنا أن نشير الى قوله تعالى «والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا » فكم من أسرة تشتت شملها ، وكم من بيوت خلت على عروشها وكم حوادث مؤلمة زلزلت كيان مجتمعات كثيرة سببها كلها واحد ، هو التبذير ، خصوصاً اذا كان المبذير رب أسرة يغولها فاذا طاح عنها خلف لها الشقاء والبؤس ، وقد نهى الله عن التبذير وبغضه الى عباده أشد التبغيض حيث قرن المبذيرين بأخوة الشيطان والعياذ بالله .

ومن المسائل التي حفلت بها هذه الآية الكريمة ، مسألة صرف الحاج عند المعدرة بالقول الحسن ، في قوله تعالى « واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا » أي اذا سألك أقاربك ومن أمر ناك باعطائهم وليس عندهم شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقه فقل لهم قولا ميسورا ، أي عدتهم وعدا بسهولة ولين ، وهكذا ورد في تفسير ابن كثير

رواية عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ، وفي هذا من مكارم الأخلاق ما فيه لأن المشاهد أن كثيراً من الناس ، جلهم أن لم نقل كلهم يتقاسرون عن أداء مثل هذا الواجب الخطير ، وياليتهم حين يفعلون ذلك يصرفون الموضوع بالحسنى بل انهم يصرفونه بالشراسة وسوء الخلق ٠

فانظر الى أدب القرآن الحكيم كيف الزمان بهذا الالزام حتى لا نجرح شعور غيرنا من المحتاجين والمعوزين فلا تقضى لهم حاجتهم ولا نحسن اليهم بالقول الحسن ٠ وتشتمل الآية بعد ذلك على النهى عن الشخ والاسراف ، في قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » والنص واضح التفسير ، ولكننا ثبتت فيما يلى أقوال المفسرين فيه ٠

يقول الله تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهي عن السرف « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » أي لا تكون بخيلاً منوحاً لا تعطى أحداً شيئاً ، « ولا تبسطها كل البسط » أي ولا تسرف في الإنفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك « فتقعد ملوماً محسوراً » وهذا من باب اللف والنشر فيقصد أن بخلت يلومك الناس ويذمونك ويستغرون عنك كما قال زهير :

ومن كان ذا مالٍ فبيخل بما له  
على قومه يستغن عنْه ويذمّ

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تتفقه ف تكون كالحسير وهو الدابة التي عجزت عن السير فتوقفت ضعفاً وعجزاً فانها تسمى الحسير مأخذ من الكلال كما قال تعالى « فارجع البصر هل ترى من فت سور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » أى كليل ٠

وخلالصة معنى الآية هو النهي عن الشح الذي هو البخل والامساك عن ايتاء الحقوق لمستحقيها من الصدقات وغيرها من أنواع البر والمساعدات والنهي عن الاسراف الذي هو ملء العادة الفقر والعجز والافلاس ٠

فليتأمل هذا النص الحكيم من ينشدون السعادة في دنياهם في ترتيب دخالهم وخروجهم ، وترتيب القيام بما هو مفروض عليهم نحو اخوانهم من ذوى قرباهم في النسب والاسلام ، وبما هو مفروض عليهم نحو أنفسهم ، ونختتم هذا الباب بالحديث النبوي الوارد في الصحيحين الذي يقول : ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما اللهم اعط منفعاً خلفاً : ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلغاً ٠

# الفهرس

صفحة	الموضوع
٧	تمهيد
<b>الباب الأول</b>	
<b>في الشّؤون الأخلاقية</b>	
٣٦ - ١٧	
١٩	النّهي عن الظّن السّوء والفيّبة
٢٢	الأمر بالحسنى
٢٤	تحريم المسخرية والاستهزاء
٢٧	النّهي عن الفحش وما يجر إليه
٣٠	مكارم الأخلاق
٣٣	النّهي عن شح النفس
<b>الباب الثاني</b>	
<b>في الشّؤون الاجتماعية</b>	
٦٠ - ٣٧	
٣٩	الخمر مبعث الجرائم
٤٤	أثر الشّريعة في قطع دابر الجرائم
٤٧	السحر في معتقدات العامة
٥١	الأمر بالمعروف والنّهي عن التّفرق والاختلاف
٥٤	مشكلة اجتماعية خطيرة
٥٩	الاستقامة من أسباب السعادة

# تابع الفهرس

صفحة

الموضوع

## الباب الثالث

### في الشئون الصحية

٦٠ - ٧٨

٦٣	نظام الحجر الصحي في القرآن .....
٦٧	اعتزال النساء في المحيض .....
٧٠	النظافة في الاسلام .....
٧٤	نظام فطام الطفل .....

## الباب الرابع

### في الآداب العامة

٧٩ - ٨٨

٨١	آداب الاستئذان قبل دخول البيوت .....
٨٣	آداب الاستئذان في الأسرة .....
٨٦	آداب المجالس العامة .....

## الباب الخامس

### في الشئون الخيرية والانسانية

٨٩ - ١٠٠

٩١	أنواع البر وشعب الاحسان .....
٩٥	بر الوالدين وطاعتها .....
٩٨	الاحسان الى اليتيم والمسكين والاسير .....

تابع الفهرس

<b>صفحة</b>	<b>الموضوع</b>
<b>الباب السادس</b>	
في فنون الحرب والقتال	
١٠١ - ١٢٤	
١٠٣	منع الاعتداء في القتال .....
١٠٧	مبادئ الإسلام في السلم وال الحرب .....
١٢١	درس في السياسة من القرآن .....
<b>الباب السابع</b>	
في الشئون الاقتصادية	
١٢٥ - ١٤٢	
١٢٧	نهي عن التعامل بالربا .....
١٣٠	حفظ الحقوق بين الأفراد والجماعات .....
١٣٨	المشاكل القضائية بين المتقاضين .....
<b>الباب الثامن</b>	
فصول متفرقة في الشئون العامة	
١٤٣ - ١٥٦	
١٤٥	الشعر والشعراء في رأي القرآن .....
١٥٣	جموعة من المواقع والاحكام .....